M/909.445

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة قالمة 08 ماي 1945

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

قسم: التاريخ و الآثار

التخصص: التاريخ العام

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام تحت عنوان:

سحنون بن سعيد و دوره في نشر المذهب المالكي في بلاد المغرب 160هـ - 240هـ

اعداد الطالبة:

- رضاونة خميسة

اشراف الاستاذ:

خالدي مسعود

لجنة المناقشة

الاستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
بن مارس	استاذ محاضر	رئيسا	جامعة 08 ماي 1945
خالدي مسعود	استاذ محاضر	مشرفا و مقررا	جامعة 08 ماي 1945
خطابي سناء	أ. استاذ مساعد	عضوا مناقشا	جامعة 08 ماي 1945

السنة الجامعية :2015-2014

15/1734

شـــــكـــــر

بسم الله الرحمن الرحيم

"ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين"

اللهم لك الحمد ولك الشكر كما ينبغي لجلال وجهك و عظيم سلطانك ، الحمد لله وحده على توفيقه لي في هذا العمل وما التوفيق إلا من عند الله سبحانه و تعالى .

أتوجه بجزيل الشكر و العرفان ، و خالص التقدير و الإمتنان إلى الأستاذ الفاضل" خالدي مسعود" على ما أسداه لي من وافر الإهتمام و ما قدمه لي من توجيهات و ملاحظات دقيقة.

المقدمة

مقدمة :

عرف المغرب الإسلامي إزدهارا كبيرا في مجال العلوم الشرعية وبالخصوص الدراسات الفقهية التي ساهم في تطويرها عدد كبير من الفقهاء والعلماء و الشيوخ الكرام الذين ساهموا في تكوين حركة علمية كبيرة قامت على علوم الدين الإسلامي وكونوا التلاميذ الذين قاموا بنشر علمهم وآراءهم خاصة في إفريقية التي عرفت إنتشارا واسعا للمذهب المالكي ذلك المذهب السني الذي ينسب لمالك بن أنس وقد نقل هذا المذهب إلى بلاد المغرب عن طريق العلماء الذين درسوا عنه وتلاميذهم الذين إنجذبوا إليه واعتنوا به بالرغم من إختلاف مذهب الدولة الأغلبية حينها،ويأتي على رأس هؤلاء الرجال الأئمة الأعلام والعلماء الكبار وأبرز شخصية فقهية وعلمية عرفها المغرب الإسلامي سحنون بن سعيد التنوخي العالم الحق والعابد الصدق علما من أعلام السلف وقاضيا من قضاة الشرع واحد من الأعلام المسجلين في الخلود لأمتنا العظيمة من رجال تمثلت فيهم الأخلاق وأداة دعوة للإسلام ونظاما ودولة الذي بدأ على يده فقه مالك ينتشر.

لقد كان اسحنون زعيم المالكيين في المغرب وشيخ السنيين فيه دور كبير في ذيوع المذهب وإنتشاره ولم يتخلف عن أداء دوره في ذلك ،وهنا نقوم بإبراز ذلك من خلال هذه المذكرة الموسومة بـ " **سحنون بن سعيد و دوره في نشر المذهب المالكي في بلاد المغرب.** "

ومن هنا تبدوا أهمية الموضوع من خلال دراسة هذه الشخصية الفذة التي لعبت دورا مهما في الفقه في بلاد المغرب بالإضافة إلى القضاء الذي ميزه وأعطاه صورة القوة والهيبة حيث كان لا يخاف في الحق لومة لائم ودوره المهم وعمله الكثيف في نشر المذهب المالكي وتعليم مبادئه و قواعده .

أما عن دوافع إختيار الموضوع فمن الأسباب التي دفعتني لاختياره فهي: الميل الشخصي لدراسة هذا الموضوع ، كذلك إطلاعي على بعض المصادر و المراجع و التي لمست

من خلالها إمكانية معالجة هذا الموضوع .

إن شخصية سحنون بن سعيد الذي يعتبر ذا مكانة عالية سواء في المغرب الإسلامي أو حتى في الأندلس بإعتباره المؤدب و المعلم والقاضي العادل ، فكل هذه الأدوار والمكانة جعلتني للتسائل عن سبب ذلك وكيف وصل إلى هذه المكانة. بالإضافة إلى تساؤلات أخرى جاءت على النحو التالي: من هو سحنون بن سعيد التنوخي .؟ ماهي مكانته العلمية ؟ وكيف كان دوره في نشر المذهب المالكي في بلاد المغرب وخارجها.؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات قمت بتقسيم بحثي هذا إلى مقدمة وتمهيد و ثلاث فصول و خاتمة ،وقد تناولت في المقدمة شرحا لأهمية الموضوع و الرغبة في توضيح معالمه وفق إشكالية و منهج كسبيل للوصول إلى الهدف

أما الفصل الأول فكان تحت عنوان : نبذة عامة عن الإمام سحنون بن سعيد ،أدرجت فيه مولد الأمام و نشأته و رحلته العلمية بالإضافة إلى مشايخه كما تطرقت ألى محنة الإمام و ثناء العلماء عليه

أما الفصل الثاني فعنوانه توليه القضاء ، قدمت من خلاله علاقة الإمام بالأغالبة وكيفية أو ظروف توليه القضاء بالإضافة إلى دوره في القضاء

أما ما يخص الفصل الثالث فقد كان معنونا بـ آثارسحنون بن سعيد وتناولت فيه مؤلفات سحنون وأهميتها عند فقهاء المالكية كذلك تلاميذه الأجلاء ثم أنهيت فصلي بوفاة الإمام وبعض أقواله

وفي الأخير جمعت مختلف هذه الأفكار في خاتمة احتوت العديد من الإستنتاجات التي خلصت إليها

ولقد أعتمدت على العديد من المصادر و المراجع التي ساعدتني في فهم حياة هذه الشخصية و دورها في نشر المذهب المالكي

المصادر:

اعتمدت على كتاب رياض النفوس في طبقات علوم القيروان و افريقية للمالكي الذي احتوى على العديد من تراجم فقهاء المالكية والذي أعطى تفصيلا للإمام سحنون بن سعيد وكذلك شيوخه ،اضافة إلى كتاب أبي العرب طبقات فقهاء

افريقية والذي تناول بالتفصيل حياة الإمام سحنون بن سعيد وكتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون ومعالم الإيمان للدباغ اللذان أسهما بشكل كبير في ترجمة الفقهاء و العلماء ألى جانب كتاب الخشني بالإضافة إلى مصادر تاريخية أخرى مهمة أمدتني وأفادتني بالكثير من الأفكار من أجل إثراء موضوع البحث

المراجع :

كما اعتمدت على جملة من المراجع لعل أهمها الأمام سحنون للمؤلف محمد زينهم عزب الذي أفادني في موضوعي بشكل خاص لأنه يتحدث عن نفس الشخصية

إضافة ألى كتاب سعدي ابو حبيب بعنوان سحنون مشكات نور وعلم وحق و الذي أفادني في الكثير من أفكاره وكتاب القيروان لمحمد محمد زيتون الذي شرح لي قضاء سحنون بن سعيد الى جانب مجموعة من المقالات و المذكرات

وقد اعتمدت في معالجة هذا الموضوع المنهج التاريخي و التحليلي الذي يعتمد على جمع المادة و تحليلها و تنسيقها .

وتكمن الصعوبات التي واجهتني أثناء إعداد الموضوع هي الظروف الخاصة و المادة العلمية التي تتكرر فيها نفس المعلومات

وفي الأخير أرجو أن أكون قد ساهمت ولو بالجزء القليل في إثراء البحث العلمي ، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث .

خطة البحث:

تمهيد :

الفصل الأول: نبذة عامة عن الإمام سحنون بن سعيد .

المبحث الأول: مولده و نشأته

المبحث الثاني: رحلته

المبحث الثالث:مشايخه

المبحث الرابع: محنته و ثناء العلماء عليه

الفصل الثاني: سحنون القاضي .

المبحث الأول: علاقته مع الأغالبة

المبحث الثاني: توليه القضاء

المبحث الثالث: دوره في القضاء

الفصل الثالث: آثاره .

تمهيد:

المبحث الأول: مؤلفاته

المبحث الثاني: كبار تلاميذه

المبحث الثالث:وفاته

الفصـــل الأول

تمهيد:

ما كاد القرن الثاني هجري يأذن بالإنتهاء إلا وكانت العلوم الإسلامية قد إنتشرت بين البربر في إفريقية خاصة وفي المغرب عامة فبدأت معالم الحركة العلمية تبرز شيئا فشيئا بتأثير عوامل الإزدهار العلمي، غير أن هذه الحركة كانت تتأرجح هبوطا وصعودا بسبب عودة التابعين وتابيعيهم إلى المشرق وبسبب وفاة البعض منهم ثم وهو الأهم ندرة نزوح العلماء المشارقة إلى المغرب ولم يكن أمام الجيل الذي تعلم على يد التابعين إلا حمل المشعل ولا سيما أن البلاد بلادهم فأوسعو العلوم دراسة وتمحيص على قدر كفاءتهم.

لقد تألقت الحياة العلمية في عهد الدولة الأغلبية كما تألقة العمارة و الفنون فقد إهتم الأغالبة بإنشاء المساجد والكتاتيب كمسجد القيروان العظيم المعروف بمسجد عقبة بن نافع و مسجد الزيتونة الذي يقوم بالمهمة العلمية التي يقوم بها الأزهر في مصر كذلك مسجد سوسة الذي أسسه الأمير الأغلبي محمد بن الأغلب أما الثقافة فقد تميزت الثقافة المغربية بالشخصية المستقلة فظهرت مدارس القيروان وغيرها من المدارس الإقليمية وهنا بدأ العالم الإسلامي يسلك طريقا واضحا في مجال العلوم و هو أن مذهب مالك أصبح بالنسبة للمغاربة ليس مجرد مذهب ديني و إنما أصبح لهم وطنية و عقيدة و ظل يدفع الحياة في المغرب ويطبعها بطابعها الخاص.

اقد تألقت الحياة العلمية في عهد الأغالبة غير أن الأثر العلمي البارز الذي يجب الإشارة إليه هو تفوق الدراسات الشرعية وعلى وجه الخصوص الفقه فقد تطلع المغربي حوله فوجد المدينة ومكة تزهوان بالإهتمام بالعلوم ثم رآها تفتخر بمذهبها الجديد المذهب المالكي الذي فيه كثير من الخصائص تشد المغربي إليها فأصبحت هناك مدرسة فقهية إفريقية هناك إلى جانب مدارس مكة و العراق والأثر العلمي البارز في الدولة الأغلبية هو تأسيسها لبيت الحكمة في مدينة رقادة وأبرز رجال القرنين الثاني و الثالث هجري وأعظمهم تأثيرا أسد بن الفرات وسحنون بن سعيد ،فإليهما ينسب تقدم الدراسات الفقهية في إفريقية و رسوخ أقدامها هناك وسحنون بن سعيد هو الشخص الأكثر أهمية و الأعظم دورا في نشر المذهب المالكي بين أهل المغرب

الفصل الأول : نبذة عامة عن الإمام سحنون بن سعيد

الفصل الأول : نبذة عامة عن الإمام سحنون بن سعيد.

المبحث الأول: مولده و نشأته .

ممن إسمه عبد السلام من الطبقة الأولى ممن لم يرى مالكا و إلتزم مذهبه من أهل إفريقية .

وهو عبد السلام أبو سحنون بفتح السين وأنكر أبو علي الجلولي ضمها وقال : هو على وزن عبدون و حمدون [1]

وهو سحنون بن سعيد ابن حبيب التنوخي بن حسان بن ذهبة بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي وغلب عليه إسم سحنون بإسم طائر حديد لحدته في المسائل و التفقه وهذا الطائر لا يعيش أو لا يعرفه إلا سكان المغرب الإسلامي [2]

ولد في رمضان من عام160هـ من صليبة العرب ،ويرجع أصله إلى بلاد الشام ،ولد بقرية يقال لها مزتاتة و قال عيسى بن مسكين:و أعرف البيت الذي ولد فيه .وقال سحنون بن سعيد :مولدي في السنة التي توفي فيها سفيان الثوري.[3]

وبإرجاع أصله إلى تنوخ تلك القبيلة العربية الموجودة في الشام والتي يرجع أصلها إلى اليمن وقد دخلت تنوخ إلى الإسلام بعد الفتوح العربية الإسلامية لبلاد الشام و كان للتنوخيين دور بارز في هذه الفتوح[4]

1- الدباغ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري:معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ،تق:محمد الأحمدي أبو النور،و محمد ماضور،ج2،دار الغرب الإسلامي،بيروت ،1994، ص88

2- شهاب الدين الدمشقي :شذرات الذهب في أخبار من ذهب،تق:محمد الأرناؤوط،ج3،دار إبن كثير ،بيروت ،ط1،1988،ص182

3- أبي بكر المالكي:رياض النفوس،تق: بشير بكوش،ج1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط1،1983ص34

4- محمد زينهم عزب:الإمام سحنون،تق:حسين مؤنس،دار الفرجاني،القاهرة،دت،ص63

الفصل الأول: نبذة عامة عن الإمام سحنون بن سعيد.

قدم أبوه إلى المغرب أو إفريقية في جند حمص في القرن 2هـ وكان من أهل العلم بالرغم من كونه جندي من حمص وهذا مايدل على أن سحنون قد أحتذى بوالده في طلب العلم وقد كان لأبيه الدور البارز في حب سحنون لذلك .[1]

و الغالب أن أباه قد دخل به إفريقية بالرغم من قول بعض المصادر أنه ولد بإفريقية [2]

ولد قبل قيام دولة الأغالبة بربع قرن تقريبا قال محمد إبنه: أنحن صليبة من تنوخ؟ فقال لي: وما تحتاج إلى ذلك. فلم أزل به حتى قال لي:نعم وما يغني عنك ذلك من الله شيئا إن لم تتقه.[3]

نشأ في القيروان وتعلم بها على يد مشايخها تلقى علومه الأولى في كتاتيب شأنه في ذلك شأن غيره من الصبيان ،إذ كانت المرحلة الأولى من التعليم في المغرب هي أن يتلقى فيها الصبي العلم على يد أحد المؤدبين في الكتاتيب وكان المؤدب يعلم الصبيان القراءة والكتابة و حفظ أجزاء من القرآن الكريم وتجويده ،علاوة على ذلك كانوا يلمون ببعض علوم النحو و الفقه وكان المسجد أهم مراكز العلم في بلاد المغرب.[4] تلقى تعليمه على أحسن علماء القيروان و هو في العاشرة من عمره ومن بين هؤلاء

1- المالكي:رياض النفوس،المصدر السابق،ص 347

2- محمد زينهم عزب: المرجع السابق،ص64

3- ابن فرحون المالكي:الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب،تق:مأمون بن محي الدين الخبان،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط1،1996،ص61

4- كمال السيد أبو مصطفى:جوانب منالحياة الاجتماعيةوالاقتصاديةوالدينيةوالعلمية في المغرب الاسلامي من خلال نوازل الونشريسي،مركز الاسكندرية للكتاب،القاهرة،1996،ص93

العلماء : البهلول بن راشد و عبد الله بن أبي حسان اليحصبيوعن العباس بن أشرس، وعلي بن زياد التونسي [1]

وكان المذهب المالكي السني هو المذهب السائد في بلاد إفريقية و المغرب و تمسك أهل هذه البلاد به[2]

ولما أصبح مستعد للدرس و التحصيل أشار عليه معلمه و مرشده البهلول بن راشد بالذهاب إلى تونس من أجل الدراسة هناك و التعمق و أخذ الفائضة من العلم على يد فقيهها البارع الورع علي بن زياد التونسي [3] وكان سحنون يحمل معه من البهلول بن راشد كتابا إلى علي بن زياد للعناية به فكتب فيه يقول: إني كتبت إليك في رجل يطلب العلم لله عز و جل.[3] فاعتنى به علي بن زياد التونسي و درس له الموطأ لمالك بن أنس إمام دار الهجرة فكان علي بن زياد خير عون لسحنون بن سعيد في إستجابته و تحصيله و فهمه للمذهب المالكي .

وقد إجتمعت في سحنون خلال ما إجتمعت في غيره فقد إتصف بالثقة و البراعة و الورع و الصدق و الصرامة في الحق و الزهادة في الدنيا و الآخرة و التخشن في الملبس و المطعم و السماحة وكان لا يقل عن أحد شيئا سلطان أو غيره ولم يكن يهاب سلطانا في حق يقوله سليم الصدر للمسلمين شديد على أهل البدع[4]

1- المالكي :المصدر السابق،ص347

2- المذهب المالكي:هو مذهب من المذاهب الاسلامية الأربعة الحنفية،الحنبلية،الشافعية هو مذهب سني يعتمد في قواعده ومبادئه على القرآن والسنةوالاجماع ينسب الى الامام مالك بن انس صاحب الموطأ انتشر في افريقية عن طريق مجموعة من العلماء كاعلي بن زياد

3-الدباغ:المصدر السابق،ص 93

4- ابو العرب محمد بن أحمد بن تميم :طبقات علماء إفريقيةو تونس،تق:علي الشابي،نعيم حسن عبد الباقي،الدار التونسية للنشر ،تونس،1968،ص٩٠(

إنتشرت إمامته في المشرق و المغرب وسلم له الإمامة أهل عصره وأجمعوا كلهم على فضله و قدمته.

أما مايخص صفات سحنون فقد كان ربع القامة بين البياض و السمرة ،حسن اللحية كثير الشعر بعيد ما بين المنكبين أنيق اللباس و المظهر هذا ما أكسبه مهابة و خلال على ما للعلم من هيبة و جلال وكان كثير الصمت قليل الكلام يتكلم كثيرا بالحكمة مهيبا جدا[1] وكان رقيق القلب غزير الدمعة ظاهر الخشوع متواضع قليل التصنع كريم الأخلاق حسن الآداب شديد على أهل البدع [2]

لم يعمل سحنون على نشر المذهب المالكي فقط بل إنه أخذ بمذهب أهل المدينة في كل شيء حتى في العيش فكان مقتصد فيه على قدر ذات اليد فكان يرى بأن ترك الحرام أفضل من جميع العبادات ولذلك كان ينصح ويحث على العمل وكسب المرء لرزقه بعرق جبينه وكان يقول : أعطو الأجير حقه قبل أن يجف عرقه .

وكان سحنون قدوة في ذلك يضرب به المثل في العمل ، فكان يخرج لفلاحة أرضه وكان قدوة في الجد و الشغف و النشاط والعمل الجثماني كما كان مثالا في الزهد و التقشف ولم يكن زهده عن فقر وإنما عن تضحية وإيثار للغير وفي ذلك يقال أنه كان يتصدق بثلاثين دينار دفعة واحدة وهو المبلغ الذي توجب فيه الصدقة [3]

1- سعدي أبو حبيب :سحنون مشكات علم نور و حق ،دار الفكر،دمشق،ط1،1981،ص46.

2- المالكي :المصدر السابق،ص349

3- سعد زغلول عبد الحميد:تاريخ المغرب العربي:تاريخ دول الأغالبةوالرستميين وبني مدرار و الأدارسة حتى قيام الفاطميين،ج2،منشأة المعارف،الإسكندرية،1978،ص88

وفي زهده أيضا تقول الروايات أنه كان يركب بلجام من حديد دون الفضة و الذهب و يلبس الفرو و الخشن من الثياب و البرنس الأسود في المطر و البرد وكان يسلم على الناس في الأسواق ويرى بان مدارات الناس هي رأس الإيمان [1]

لقد كان لنشأة و تربية سحنون بن سعيد أثر كبير في تكوين شخصيته التي تميزة عن أخيه حبيب بن سعيد[2] فقد أخذ عن أبيه سعيد بن حبيب التنوخي صفات ساعدت في إبراز شخصيته القوية على الظهور أمام المجتمع ومن هذه الصفات الصرامة و الحزم و الزهد و قوة الرأي.

1- سعد زغلول: المرجع السابق،ص90

2- حبيب بن سعيد التنوخي: هو أخو سحنون بن سعيد كان أسن من سحنون بسنين كثيرة سمع من عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ومن أبي فروخ كان رجلا صالحا ،أنظر أبي العرب :طبقات علماء إفريقية.

المبحث الثاني: رحلته .

كان أمر التجوال التجوال في سبيل الدراسة أمر شائع بين طلاب العلم في بلاد المغرب الإسلامي فقد كان الحرص على لقاء الشيوخ و الأساتذة المشهورين هو الغرض الأول من هذه الرحلة ،وتحتل ضرورة الأخذ عن الشيخ مباشرة و الجلوس إليه أهمية كبيرة في التعليم.

فلم يكن يكتفي الطالب بقراءة المصنفات من الأستاذ وحده ولكن إنما كان لابد من أن يقرأها عليه و يسمعها منه حتى يعتبر ثقة في مادته و حجة في علمه وبدون ذلك لا تصح روايته ،وقد كان سحنون التلميذ المؤدب وطالب العلم الحقيقي[1] لذلك قرر زيارة علي بن زياد التونسي ليقترح عليه هذا الأخير الذهاب و الإرتحال إلى المشرق [2]

وهنا تختلف المصادر في تاريخ ذهابه إلى هناك:

لقد إختلف المؤرخون و أصحاب السير حول تاريخ رحلة سحنون بن سعيد إلى المشرق لينهل العلم عن الشيوخ المشارقة [3] قال إبنه محمد بن سحنون :خرج إلى مصر في عام178 هـ . أي في حياة مالك بن أنس وكان يبلغ سحنون آنذاك ثمانية عشرة من العمر ،وتقابل مع الفقيه المالكي بمصر ابن القاسم قال سحنون : كنت عند إبن القاسم وجوابات مالك ترد عليه ،فقيل لي ما يمنعك من السماع عنه ؟ فقال قلة الدراهم ،فلولاه لأدركت مالكا.[4]

1- عبد العزيز محمد عادل: التربية الإسلامية في المغرب:أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة ،1987،ص30

2-محمد زينهم عزب:المرجع السابق،ص82

3-الدباغ:المصدر السابق،ص78

4- الدباغ:المصدر نفسه،ص79

لكن الملاحظ أن سحنون كان ميسور الحال فلا يمكن أن يكون الفقر هو من ردعه عن ملاقات مالك بن أنس ،فقد تكون قلة المال ماهي إلا تعليلات إبتكرها تلاميذ سحنون المتعلقين به لتعليل عدم سماعه مباشرة من مالك .[1]

لكن المرجح عند مؤرخي التراجم و السير أمثال المالكي و الدباغ و ابي العرب و القاضي عياض ،أشاروا إلى أن سحنون بن سعيد قد إرتحل إلى الحجاز أو المشرق في عام 188هـ[2] ،حيث لم تكن له أي فرصة لملاقات مالك و السماع منه لأنه توفي رحمه الله آنذاك،ولم يستطع أخذ العلم عنه بل أخذه ودرس الفقه عن أكبر تلاميذه الأجلاء من مختلف الأمصار الإسلامية [3]

تفقه من مصر على يد الفقهاء :ابن القاسم و عبد الله بن وهب و أشهب بن عبد العزيز و عبد الله بن عبد الحكم و شعيب بن الليث و يوسف بن عمر. أما أساتذته من الشام فهم:الوليد بن مسلم و أيوب بن سويد،و من المدينة شرب العلم من طرف :عبد الله بن نافع الصائغ و معن بن عيسى و عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون و سفيان بن عيينة[4] ومن مكة سمع سحنون من عبد الرحمن بن مهدي ووكيع بن الجراح و حفص بن غياث و يزيد بن هارون ويحي بن سليمان و أبي داوود الطيالسي و أبي إسحاق الأزرق و هؤلاء جميعا في ذروة علماء ذلك العصر الذهبي ومنهم من هو كوكب ذري

5

1-محمد زينهم عزب:المرجع السابق،ص92

2- القاضي عياض:ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مالك،تق:أحمد بكير محمود،ج2،دار الحياة ،بيروت،د.ت،ص90

3- بو خروبة سلمى:أثر فقهاء المالكية الثقافي بإفريقية من القرن 2هـ إلى 5هـ،مذكرة الاستر في التاريخ العام ،قالمة،2014،ص09

4- أبي العرب:المصدر السابق،ص103

5- الدباغ: المصدر السابق،ص79

وقد حاول سحنون من خلال رحلته أن يستقصي مذهب مالك في كل البلاد التي زارها و من كل العلماء الذين أخذ عنهم و إلتقى بهم و أن يجمع كل المسائل التي أخذت عن إمام دار الهجرة .

وقد عبر سحنون عن تتبعه لكل أقوال مالك بن أنس بقوله لتلميذه سليمان بن سالم لما أراد الخروج إلى الحج:"إنك لتقدم طرابلس وقد كان فيها رجال مدنيون ومصريون ثم تقدم مصر وبها الرواة ثم تقدم المدينة عش مالكا ثم تقدم مكة عش مجهودك فإن قدمت علي بلفضة حجرت عن دماغ مالك ليس عند شيخك أصلها فاعلم أن شيخك كان مفرطا ." يعني نفسه[1] وقد خرج إلى الحج في ركب ضم أسياد العلم في عصرهم كإبن القاسم و أشهب و ابن وهب وقد كانت رحلة علم وعبادة وهكذا فاليكن الحج.[2]

وبعد هذه الرحلة رجع سحنون بن سعيد إلى معاقل دياره حاملا معه علما غزيرا يقوم بنشره علىأهل بلده ويكون له الدور الكبير في تسيير حيات الناس هناك و تفقيههم و تعليمهم الفقه و توضيح المسائل

فقدم القيروان في 191هـ و أظهر علم أهل المدينة بالمغرب وكان أول من أظهره هناك [3] أي بعد وفات إبن القاسم مباشرة وكان في الخامسة و العشرين من عمره

ومن هنا يمكن القول أن رحلة سحنون إلى المشرق قد أحدثت إختلافا بين المؤرخين فهناك من يقول أنه رحل في سنة 178هـ وهي الرحلة التي لم يوفق فيها للأخذ عن مالك وهناك من يقول أنه رحل في عام188هـ وهنا يكون مالك بن أنس قد وارى الثرى وهنا للتوفيق بين الرأيين يمكن القول أن الأمام سحنون قد رحل رحلتين الأولى إلى مصر والتي إلتقى فيها ابن القاسم ودرس عليه وأخذ عنه

1- الدباغ:المصدر السابق،ص80

2- القاضي عياض:المصدر السابق،ص91

3- ابن فرحون :المصدر السابق،ص263

كما درس الأسدية التي سميت ف

بما بعد بالمدونة لأسد بن الفرات والتي إستطاع سحنون قراءتها فرأى فيها مخالط كثيرة بالنظر إلى أن أسد بن الفرات قد درس على أهل العراق[1]

فعمل سحنون على ترتيبها و الزيادة فيها و تنظيمها و تنقيحها و من ثم عرضها على ابن القاسم الذي وافقها و أصبحت تحمل إسم سحنون فتسمى مدونة سحنون بن سعيد الكبرى [2] وفي هذا أن أسد قد قدم من بلاد العراق إلى مصر فسأل ابن القاسم صاحب مالك أسئلة كثيرة فأجابه عنها ودخل المغرب فاستنسخها منه [3]

سحنون ثم قدم إلى ابن القاسم بمصر فأعاد أسئلة عليه فزاد فيها ونقص ورجع عن أشياء أخرى فرتبها سحنون و رجع بها إلى المغرب لتكون هذه الرحلة الأولى أما الرحلة الثانية في سنة 188هـ فأحداثها واضحة نظرا لملاقاته لأكبر تلاميذ مالك و الحج معهم[4]

لقد قام سحنون بن سعيد بعد عودته من رحلة المشرق بعقد مجالس علمية حضرها مختلف أصحابه مثل:ابن عبدوس الذي حضر أحدها وقد ضم ذلك المجلس كبار أصحابه مثل محمد إبنه و أبو داوود احمد بن موسى العطار و عبد الله بن الطبني وعبد الله بن سهل القيرياني وقد ألقى عليهم سحنون مسألة ولم يعطوه جوابها فأجاب ابن عبدوس عنها بتفاصيلها كافة فعاتب سحنون أصحابه على تقصيرهم وطلب منهم الإقتداء بابن عبدوس بالمواضبة على الدراسة[5]

1- محمد زينهم عزب:المرجع السابق،ص100

2- ابن خلدون :العبر وديوان المبتدأو الخبر،تق:خليل شحادة ،سهيل زكار،ج1،دار الفكر ،بيروت،2001،ص569

3- ابن فرحون :المصدر السابق،ص264

4- ابي العرب:المصدر السابق،ص102

5- علياء هاشم ذنون محمد المشهداني: فقهاء المالكية .دراسة في علاقاتهم العلمية في الاندلس والمغرب حتى منتصف القرن 6هـ ،مذكرة الدكتورا التاريخ الاسلامي،جامعة الموصل،2003،ص21

الفصل الاول : نبذة عامة عن الغمام سحنون بن سعيد.

إن الإمام سحنون بن سعيد التنوخي المجذر للمذهب المالكي بإفريقية وشيخ المربين بالقيروان ، بذور تلك الطريقة المرنة في إصلاح الناشأة لما أصبح معلم ولده وأبي عبد الله محمد صاحب كتاب آداب المعلمين بقوله:لا تؤدبه إلا بالمدح و لطيف الكلام ليس من هو يؤدب بالضرب و التعنيف.[1]

وقبل ذلك أعجب ابن القاسم بسحنون و عرض عليه البقاء و الإستمرار في مصر كمعلم لكنه رفض فطلب ابن القاسم من محمد بن رشيد صديق سحنون و رفيقه و أقرب الناس إليه بإقناع سحنون بالبقاء في مصر حيث قال: قل لصاحبك سحنون يقعد فالعلم أولى به من الجهاد و اكثر ثوابا .وفشل ابن رشيد في إنجاز هذه المهمة [2]

وقد عكف سحنون حين عودته إلى القيروان في تعليم الصبيان هناك كحفظ القرآن و الصلاة ثم بدأ نجمه يصعد عندما كان يحضر الحلقات الفقهية و العلمية التي كانت تقام في المساجد و بيوت العلماء، وكان سحنون يقارعهم ويجادلهم في المسائل الفقهية المالكية ونال إعجاب العديد من المشايخ في ذلك الزمان امثال أسد بن الفرات [3]

و يمكن معرفة مذهبه في التربية بالرجوع الى حادثة جرت للامام مع تلميذه محمد بن معاوية فقد حضر هذا الاخير حلقة من حلقات دروس سحنون التي كانت تعقد أمام بيته في الشارع وجلس في الطريق لضيق الموضع فقال[4]

1-المالكي: المصدر السابق،ص346

2- المصدر نفسه،ص351

3- محمد زينهم عزب: المرجع السابق،ص61

4- الدباغ: المصدر السابق،ص83

"جئته اي لسحنون حمل الطعام إلي وقال: قم من الطريق .فلم أقدر أن أقوم فقال:قد جاءنا رزق فمن أين يدخل إذا قعدتم لنا في الطريق[1] ، ثم تخطاني وجاز ثم نظر إلينا ثم قال:قد نهيتكم غير مرة من أن يقعدوا في الطريق وضاق علينا.

فلما كان من الغد خرج علينا وعلى يده كتاب للسماع فلما قعد في موضع أخذ الكتاب ليقرأ فلما قرأ باسم الله الرحمان الرحيم وضع الكتاب من يده ثم تبسم قليلا ثم قال :كبرنا وساءت أخلاقنا و يعلم الله أني ما أصيح عليكم إلا لأأدبكم وما أريد بكم يعلم الله مكروها.[2]

لقد كان سحنون شديد الحرص على تأديب طلابه يدرك أن العلم إذا لم يصحبه أدب و خلق كان شرا من الجهل وكان إذا إنتهى من الدرس طلب من أبناء العلم أن يقوموا قومة رجل واحد وكان يفشو السلام في أول الدرس وقد كان الرسول صلى الله عليه و سلم يفعل ذلك في الدرس وغيره وإذا جلس للدرس جلس على أحسن هيئة أنيق الثياب عليه سكينة ووقار[3] ولم يكتفي سحنون بذلك بل تجاوز إلى الأعلى فنراه ينفق على تلاميذه من ماله الخاص وكان ذلك عادة نسجلها باعتزاز لعلمائنا في المغرب

1- ابو الحسن علي القابسي :الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين و احكام المعلمين والمتعلمين،تق: احمد خالد،الشركة التونسية للتوزيع ،تونس، ط1،1996،ص112

2- سعد زغلول: المرجع السابق،ص 89

3- محمد زينهم عزب، المرجع السابق، ص 65

المبحث الثالث:مشايخ سحنون بن سعيد:

و لا يتم الكلام عن سحنون و دوره في تاريخ العلم في إفريقية إلا بالكلام عن شيوخه و مدرسته التي أخذ منها علمه و هي المدينة المنورة دار الهجرة معقل المذهب المالكي فقد كانت مصدر النور الساطع الذي أنار المسلمين و أرجاء العالم الإسلامي.

و قبل الحديث عن مشايخ سحنون فلا بد من الإشارة إلى أن إفريقية و بلاد المغرب قد سادها المذهب الأوزاعي[1] بعدما بدأت المذاهب الفقهية الإسلامية تعرف طريقها إلى بلاد المغرب أوساط القرن الثاني هجري و إزداد إنتشارها في النصف الأخير و بقي المذهب الحنفي و الأوزاعي مذهبان محمولا بهما في بلاد المغرب إلى أن بدأ طلاب هذه البلدان يرحلون إلى المشرق بقصد أخذ العلم وطلب الرواية عن فقهاءها و علماءها [2]

فقد إقتصرت رحلتهم في باديء الأمر إلى الحجاز وإمامها أنذاك مالك إمام دار الهجرة ، فأخذو عنه المذهب ودرسوه و فهموه وتفقهوا به وقد إمتد إنتشار هذا المذهب في النصف الثاني من القرن الثاني هجري ،ومن أبرز من أخذ عن الإمام مالك مذهبه ونشره في إفريقية هم مشايخ سحنون بن سعيد في المغرب الفقيه و الأستاذ علي بن زياد التونسي و البهلول بن راشد [3] وغيرهم وقبل الخوض في التعريف بهم لابد من التعرف أولا على صاحب المذهب المالكي وما يحمله هذا المذهب . فمن هو صاحبه ؟ وعلى ماذا يرتكز هذا المذهب ؟ .

1- الأوزاعي: هو عبد الرحمن بن عمرو 88 ق - هـ ،157هـ عالم وفقيه وإمام أهل الشام في الفقه و الحديث صاحب المذهب الأوزاعي إنتشر في بلاد الشام و المغرب و الأندلس لكنه لم يدم حتى العصور الحديثة .

2- عمر الجيدي: مباحث في المذهب المالكي ، [د ن]،[د م]،ط1،1993،ص15

3- الحاج الأمين بامبا: إنتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب الاسلامي

1- مالك بن أنس :

هو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمر بن الحارث [1] بن عثمان أبو عبد الله الأصبحي المدني بن ذي أصبح بن حميد بن سبأ بن يعرب بن قحطان حليف لعثمان بن عبد الله القريشي التميمي المدني ،وأمه عالية ابنة شريط بن عبد الرحمن بن شريط الأزدية وقد كان مولده في سنة 93هـ 711م على أصح الأراء [2]

نشأ في بيئة علمية كانت لها الأثر الكبير في نشأته على طلب العلم و الرواية حيث كان يلازم علماء المدينة ويتتبع دروسهم ويأخذ عنهم الحديث و الفقه حفظ القرآن صغيرا ومن أهم شيوخه إبن هرمز الأعرج ونافع بن مولى بن عمر أبو عبد الديملي و الزهري محمد بن مسلم إبن شهاب أبو بكر و أبا الزبير وغيرهم[3]

لقد أجمع العلماء على إمامته ودينه وورعه إذ يعد أفقههم بالحديث و آثار الصحابة و الرأي قال فيه تلميذه الشافعي : "إذا ذكر العلماء فمالك." ومن تلاميذه الكثير فبما أن موطنه المدينة فقد توافدت عليه الطلاب من مختلف البقاع و[4] أشهرهم علي بن زياد التونسي و ابن القاسم و أسد بن الفرات و الليث بن سعد و عيسى بن دينار القرطبي.

1- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن الشافعي :تنوير الحوالك شرح على موطأ الإمام مالك، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د ـ ت ص 04

2- محمد أبو زهرة :مالك ، حياته و عصره ،أراءه وفقهه،دار الفكر العربي،القاهرة ،ط2،2001،ص29

3- ابن خلفون الأندلسي:أسماء شيوخ الإمام مالك بن أنس ،تق: محمد زينهم عزب،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،د ـ ت ،ص19

4- ابن فرحون المالكي:المصدر السابق،ص265

الفصل الأول : نبذة عامة عن الإمام سحنون بن سعيد.

يمكن القول أن تلاميذ مالك الأفارقة الثلاثين الذين رحلوا إلى المشرق للسماع منه و إستطاعوا حمله إلى المغرب راجع لجملة من العوامل سنتطرق إليها لاحقا

إن المذهب المالكي سرعان ما تقلص في الحجاز موطن نشأة الإمام مالك وإزداد إنتشاره في المغرب الإسلامي حيث إستقرت أركانه و قوية دعائمه و أصبح المذهب المالكي السائد في رقعة تمتد من برقة شرقا إلى جبال البرانس غربا [1]

توفي الإمام مالك في صبيحة 14 ربيع الأول من عام 179هـ في خلافة هارون الرشيد وصلى عليه والي المدينة عبد الله بن محمد بن إبراهيم ودفن بالبقيع و هو ابن 85 سنة [2]

وقبل التطرق إلى معرفة أساتذة سحنون بن سعيد بالتفصيل لابد من معرفة هذا المذهب الذي حمل الأفارقة أنفسهم على التعلم به و الرجوع به إلى بلدانهم ،فماهي مميزاته و خصائصه ؟

لقد بنى مالكفقهه على أساس الحديث بإعتباره العلم الوحيد الموجود في المدينة فقد أسس مذهبه على أساس حجه و إلتقاءه بالصحابة ليسمع منهم كلامالنبي صلى الله عليه و سلم [3] وقد إعتمد عليه مالك من أجل حل بعض القضايا التي إختلفت فيها الفرق الإسلامية الموجودة في عصره كالمعتزلة و الشيعة وبهذا أراد أن يثبت مكانة السنة و أقوال النبي صلى الله عليه وسلم

1- أحمد المقري :نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ،تق:إحسان عباس،ج2،دار صادر،بيروت،1968،ص47

2- ابن الجوزي:المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم،تق:محمد عبد القادر عطا ،مصطفى عبد القادر عطا،ج9،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط1،1992،

ص42

3- علي جمعة محمد: المدخل لدراسةالمذاهب الفقهية ،دار السلام ،مصر،ط1،2004،ص142

في مختلف المسائل الدينية لإبطال الخرافات و تزعمات و تكهنات تلك الفرق التي لا تفهم القرآن ألا بمصلحتها ، وأثناء دراسته كان لا يقف إلا عند مدلول نص ولا يتجاوز المعنى الواضح في لفظ جاء به القرآن أو السنة النبوية الشريفة[1]

ولدراسة فقهه لابد من معرفة مسالكه في الإجتهادو أصوله في الإستنباط و الفروع الفقهية التي أفتى بأحكامها.[2] والأدلة التي بنى عليها مالك مذهبه هي ستة عشرة : نص الكتاب و ظاهره ودليله وهو مفهوم المخالفة و مفهومه أي مفهوم الموافقة وتنبيهه وهو العلة ومن السنة مثل هذه خمسة فهذهعشرة و الإجماع والقياس وعمل أهل المدينة و الإستحسان والحكم بسد الذرائع[3] و إختلف في قوله في سبعة عشر وهو مراعات الخلاف فمرة يراعيه ومرةلا يراعيه[4]

وليس في كلام مالك ولا كلام الصحابة المتقدمين نص في كل ما تقدم وإنما هو مستنبط بطريق الإستقراء من النصوص الفقهية و الأحكام التي نقلت عن الإمام أو دونها في كتبه فقد إشتمل الموطأ على أخذه بالكتاب و السنة على تفصيلات يلاحظها المتمعن في منهج أخذه منها كما إشتمل على أخذه بالقياس وقد تميز المذهب المالكي بعدة خصائص منها: الترتيب الفقهي للموضوعات : ويقع الترتيب حسب العبادات ثم الزكاة و الأطعمة و الإيمان و النذور و الجهاد ثم الخصائص النبوية فالنكاح و توابعه ثم البيوع والمعاملات ثم القضاء و الشهادات ثم العنف فالوصية و الفرائض [5]

1-محمد أبو زهرة :المرجع السابق،ص30

2-جميل مدبك :موسوعة الأديان،د ـ ن ،د ـ م،د ـ ت،ص148

3- محمد أبو زهرة:تاريخ المذاهب الإسلامية في تاريخ المذاهب الفقهية،ج2،دار الفكر العربي،القاهرة،2001،ص205

4- عبد الغاني دقر:الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة،دار العلم،دمشق،ط2،1998،ص380

5- جميل مدبك: المرجع السابق،ص 149

و السر في هذا الترتيب هو النظر في مقاصد الشريعة وحفظ مصالح العباد[1]

لقد نشأ هذا المذهب في باكورتهوظهر في الطريقةمالك في الفتوى وذلك حينإنفصل عن مجلس ربيعة بن عبد الرحمن وسلك بتلاميذه و أصحابه مسلكا مخالفا لماكان عليه أبو حنيفة . كل هذه الصفات أثرت في مشايخ سحنون وعملو به و نقلوه إلى المغرب ومن أول من أدخل الموطأ إلى المغرب علي بن زياد التونسي[2]

2- علي بن زياد التونسي :

هو علي بن زياد الطرابلسي،من أهل الطبقة الأولى من أصحاب مالك أول من أدخل الموطأ بالمغرب . وهو أبو الحسن وقيل أصله من العجم ،ولد بطرابلس ثم إنتقل إلى تونس[3] كان مأمونا وفقيها متعبدا وبارعا في الفقه ،توجه صوب المشرق في رحلة علم إلى إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس [4] رحمه الله في المدينة المنورة فسمع منه الموطأ ورواه عنه رواية وحفظ و فهم وأتقن فقه مالك و أصوله حتى أصبح رئيس الفتوى والفقه في إفريقية. ثم رحل رحلة أخرى إلى العراق بلاد فقه الرأي و إلتقى نخبة من علماءها على رأسهم الإمام سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث فسمع منه جامعه الكبير وجامعه الصغير في الحديث[5] ثم عاد إلى المغرب بعد جمعه لثروة فقهية علمية وفي حين ذلك يخرج إلى مصر ويطيب له المقام هناك مع أكبر فقهاءها ،الليث بن أسعد فيعرف منه ما شاء الله

1- جميل مدبك:المرجع السابق،ص511

2- ابن فرحون:المصدر السابق،ص263

3- ناصر الدين محمد الشريف:الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية،دار اليبارق،لبنان،ط1،1999،ص34

4- المالكي :المصدر السابق،ص 234

و بعد كل هذا يعود فيمر من مسقط رأسه طرابلس ثم يستمر في إتجاه رحلته إلى إفريقية و يستقر به المقام هناك[1] يعتبر موطأ علي بن زياد التونسي الطرابلسي المسقط الأساسي الذي قام عليه مذهب إمام مالك بإفريقية و أعتق وأقدم كتاب و أول كتاب ظهر بإفريقية بعد القرآن الكريم.

و إنتشر بواسطة رواته من تلاميذ إبن زياد كأسد بن الفرات و البهلول بن راشد و سحنون بن سعيد و شجرة بن عيسى[2]

يقول سحنون فيه و هو معلمه"و كان البهلول يأتي إلى علي بن زياد التونسي و يسمع منه و يفرغ إليه يعني في المعرفة و العلم و يكاتبه إلى تونس يستفتيه في أمر الديانة [3] و كان أهل العلم بالقيروان إذا إختلفوا في مسألة كتبوا بها إلى علي بن زياد التونسي ليعلمهم الصواب"و كان خير أهل إفريقية في الضبط للعلم.

وهو أول من أدخل الموطأ لمالك و الجامع لسفيان و فسر لهم قول مالك و لم يكونوا يعرفوه[4] تفقه به سحنون و له كتب على مذهبه وكان سحنون لا يقدم عليه أحدا من أهل إفريقية و قال عنه سحنون"كان علي خير أهل إفريقية في الضبط للعلم و يقول فيه أيضا:

ما أنجبت إفريقية مثل علي بن زياد و ما فاقه المصريون إلا بكثرة سماعهم و ذلك أنني إختبرت سره و على نيته"و قد كاتبه البهلول مع سحنون حيث قال لعلي بن زياد يأتيك رجل يطلب العلم لله"فلما وصل سحنون أتاه علي إلى بيته بالموطأ

1- ناصر الدين محمد الشريف:المرجع السابق،ص 34

2- محمد زينهم عزب :المرجع السابق،ص76

3- أحمد بن الحسين النائب الأنصاري:نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان،تق:محمد زينهم عزب،دار الفرجاني،د ـ م ، د ـ ت،ص68

4-الدباغ:المصدر السابق ،ص78

وقال له:والله لأسمعته علي إلا في بيتك لأن أخي البهلول كتب إلي أنك ممن يطلب العلم لله.[1]

ويشبه به رجل آخر من أكابر أصحاب مالك المصريين يكنى بكنيته و يسمى بإسمه و ينسب بنسبه و هو أبو الحسن علي بن زياد الإسكندراني

وقد توفي علي بن زياد التونسي رحمه الله تعالى في عام 183هـ وقبره بتونس[2]

3- البهلول بن راشد :

وهو أبو عمرو البهلول بن راشد من أهل القيروان كان مجتهدا ورعا لا يشك في أنه مستجاب الدعوة وكان عنده علم كثير سمع من مالك بن أنس و سفيان الثوري ومن عبد الرحمن بن زيادين أنعم و الليث بن سعد و الحارث بن النبهان [3]

وقال ابن تميم :وقد سمع من البهلول بن راشد وجوه مشايخ إفريقية سحنون و عون وأبو زكريا الحفري ولقد سمع يحي بن سلام من البهلول وكلهم قاموا بنهضة فقهية و فكرية بعد ذلك في إفريقية قال عنه مالك بن أنس:"هذا عابد بلده."[4] تحدث عنه سحنون تلميذه الذي نمى عمره و معظم أوقاته سبابة معه بل يرجع له الفضل الأول في تكوين ملكة سحنون الفقهية .

1- المالكي :المصدر السابق،ص 200

2- عبد الكريم بن المجدوب الفاسي:موسوعة أعلام المغرب،تق:محمد حجي،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط1،1996،ص73

3-رابح بو نار:المغرب العربي تاريخه و ثقافته،عين مليلة ، الجزائر،ط3، د ـ ت،ص51

4- أبو العرب :المصدر السابق،ص90

و من أشهر عباراته عنه "كان البهلول رجلا صالحا ولم يكن عنده من الفقه ما عند غيره وإنما إقتديت به في ترك السلام على أهل الأهواء كان الذكر لرباح فلما مات صار لبهلول وما ذاك إلا من خشية كانت له"[1]

كان البهلول يكره أهل الأهواء توفي البهلول بن راشد في نفس السنة التي توفي فيها علي بن زياد التونسي وقد مات من شدة التعذيب أيام والي إفريقية محمد بن مقاتل العكي وكان البهلول يجتمع الناس حوله و يحرضهم على العصيان و التمرد ضد الوالي.[2]

3- عبد الرحمن بن القاسم العتقي:

هو أبو عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن خيادة مولى زبيد بن الحارث العتيقي و أصله من مدينة الرملة من فلسطين وله بمصر مسجد يعرف بمسجد العتقي ،روى عن الماجشون وابن الحكم عثمان و الدراوردي[3]

لقبه مالك بن أنس بالفقيه وسئل عنه فقال: إبن وهب عالم وابن القاسم فقيه ،وهو رجل صالح جمع بين الفقه و الورع وهو أفقه الناس بمذهب مالك [4] صحب مالك عشرين سنة لكنه لم يخرج إليه إلا وهو عالم بقوله له ثلاثين مجلدا أو نحوه عن مالك ومسائل مما سأله أسد بن الفرات ،قال الفقيه الحارث بن مسكين :"كان في ابن القاسم الزهد و العلم و السخاء و الشجاعة والإجابة." ثم قال إمام المدينة :" مثله كمثل جراب مملوء مسك." فأثناء قيام سحنون برحلته إلى المشرق مر بمصر وهناك إتصل بابن القاسم [5]

1- ابو العرب :المصدر السابق،ص68

2- محمد زينهم عزب:المرجع السابق،ص83

3- عبد الكريم الفاسي :المصدر السابق،ص65

4- المالكي :المصدر السابق،ص175

5- عبد الغاني دقر:المرجع السابق ص371

الذي منحه كل ما عنده من علم و فقه و به أقام مدونته الكبرى وهي أم المهات لكتب مالك ،توفي عبد الرحمن بن القاسم بمصر في عام 191هـ وهو ابن ثلاث وستين عاما.[1]

4- عبد الله بن وهب :

وهو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي و يطلق عليه ابن وهب الأنصاري ،تتلمذ على يد مالك وعبد العزيز بن الماجشون ونحو 400 شيخ من المصريين و الحجازيين و العراقيين[2] صحب مالك عشرين سنة و قيل لم يكتب مالك لأحد بالفقه إلا لإبن وهب ،كان عالما صالحا و فقيه كثير الحديث وصحيحه وكان أكثر المحدثين و الرواة قال سحنون عنه:"كان ابن وهب قد قسم دهره أثلاثا ثلاثا في الرباط وثلثا يعلم الناس بمصر و ثلثا في الحج." وذكر أنه حج ست وستين مرة وكان يلقبه مالك بالعالم ،توفي رحمه الله في 197هـ [3]

5- أشهب بن عبد العزيز :

كنيته أبو عمر القيسي المعافري الجعدي غلب عليه إسم مسكين وهو من أهل مصر وأشهب هو لقبه من الإمام مالك ،تفقه على يده و الليث بن سعد سمع منه سحنون و أسد .قال سحنون :"قال لي إبن القاسم إن كنت مبتغيا هذا العلم بعدي فابتغه عند أشهب." كان كاتب خراج مصر[4]

1- ابي بكر بن خلكان: وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ،تق:احسان عباس،ج3،دار صادر،بيروت ،د ـ ت ،ص 181

2- عبد الغاني دقر :المرجع السابق،ص372

3- ابو العرب :المصدر السابق،ص85

4- ابن فرحون :المصدر السابق،ص265

وقال فيه سحنون : ماكان أحد يناظر أشهب إلا إظطره بالحجة حتى يرجع إلى قوله . ولقد كان يأتينا في حلقة ابن القاسم فيتكلم في أصول العلم و يفسر و يحتج و ابن القاسم ساكت ما يرد عليه حرفا.تأثر به سحنون فأخذ عنه الورع و الزهد له مؤلفات هي : فضائل عمر بن عبد العزيز وكتاب إختلاف في القسامة و المدونة توفي رحمه الله في 204هـ [1]

وكيع بن الجراح:

يكنى بأبي سفيان أحد أئمة الإعلام تفقه على يد مالك و إبن الماجشون و الأعمش تتلمذ على يده سحنون توفي وكيع 197 بعد أداء فريضة الحج كان أعور و لايؤمن بخلق القرآن[2]

سفيان بن عيينة:

أصله من الكوفة كان إماما عالما زاهدا ورعا حج 70 حجة و يكنى بأبي محمد الأعور أحد أئمة الإسلام و قال فيه إبن وهب:"لا أعلم أحدا أعلم بالتفسيرمنه ،مات إبن عيينة في 198 م وقد إتهمه بعض المحدثين بالتدليب وخاصة [2] السيوطي،إهتم بالعلوم الطبيعية .راوية وفقيه صاحب المذهب الثوري من المذاهب السنية عبد الملك[3]

الماجشون:

من كبار معلمي سحنون في المدينة وهو عبد الملك عبد العزيز بن عبد الله بنأبي سلمة الماجشون .وهي كلمة فارسية تعني أحمر الوجه هو فقيه ابن فقيه تفقه

1- المالكي :المصدر السابق،ص223

2- القاضي عياض:المصدر السابق،ص82

3- زهير حمدان :أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية و التطبيقية ،ج1،مكتبة الأسد،دمشق،1990، ص459

على يد أبيه و مالك بن أنس تفقه على يده سحنون بن سعيد و عبر عنه بقوله: هممت أن أرحل إليه و أعرض عليه هذه الكتب فما جاز منها أجزت وما رد منها رددت.[1]

وعن محنة القرآن راسله سحنون يسأله عن التشبيه و القرآن ،قيل فيه أنه يحبذ تفسير الرؤيا وكانت وفاته في 212هـ وهو ابن بضع وستين سنة . [2]

1- محمد زينهم عزب : المرجع السابق،ص90

2- المالكي :المصدر السابق،ص223

المبحث الثالث : محنته و ثناء العلماء عليه .

1- محنته :

كان سحنون قد حضر جنازة وهب و كان أخاه من الرضاعة فتقدم إبن أبي الجواد الذي كان قاضيا قبله و كان من رأي الكوفيين في حلق القرآن فصلى عليه فلم يصلي سحنون خلفه فبلغ ذلك الأمير الأغلبي زيادة الله فأمر بأن يضرب سحنونا 500 سوطا و يحلق رأسه و لحيته فبلغ ذلك وزيره علي بن حميد الذي توسل أميره من إيقاف الأمر و قال له:

لا تفعل .إنما هلك بضربه البهلول بن راشد و قال"و هذا مثل البهلول بن راشد.قال نعم و قد حسبت البريد شفقة على الأمير فشكره و لم ينفذ أمره.و بينما سحنون يقرئ الناس إذا أتاه الخبر بما أراح الله منه و قيل له لو ذهبت إلى بن حميد فشكرته قال:لا أفعل .قال:"و لكن أحمد الله الذي حرك إبن حميد لهذا فهو أولى للشكر[1]

ولما ولي أحمد بن الأغلب الإمارة و أخذ الناس بمحنة القرآن و خطب به بالقيروان نوجه سحنون بن سعيد عبد الرحيم الزاهد و بقصر زياد فارا.

فكان عنده ،فوجه في طلبه هنالك رجل يقال له إبن سلطان و كان مبغضا في سحنون بغضا عظيما إختاره في ذلك في خيل وجهها معه .فلما وصل إلى سحنون قال إبن سلطان :و جهني الأمير إليك[2]

1- الدباغ: المصدر السابق ،ص 93

2- علياء هاشم ذنون محمد المشهذاني: المرجع السابق، ص24

وقصدني لبغضي فيك لأبلغ منك وقد حالت نيتي عن ذلك وأنا أبذل دمي دون دمك فاذهب حيث شئت من البلاد أو أقم فأنا معك . فشكره سحنون وقال: ما كنت أعرضك لهذا بل أذهب معك ،فخرج و شيعه أصحابه وقال عبد الرحيم للرسول: قل للأمير أوحشتنا من صاحبنا و أخينا في هذا الشهر العظيم و كان رمضان سلبك الله ما أنت فيه.[1]

فلما وصل إلى الأمير جمع له قواده و قاضيه ابن أبي الجواد و سأله عن القرآن :فقال سحنون :أما شيء أبتديء به من نفسي فلا ،ولكن سمعت من تعلمت منه و أخذت عنه كلهم يقولون كلام الله غير مخلوق .فقال ابن أبي الجواد :كفر أقتله ودمه في عنقي . وقال بعضهم يقطع أرباعا ويحمل كل ربع بموضع من المدينة ،و قال أصحاب السلطان: أقتله قتل الحياة ،تأخذ عليه الصفاء وينادى عليه بسماط القيروان أن لايفتي ولا يسمع أحدا منه ويلزم داره . فلما إنصرف الحاجب بسحنون ومشوا به وبقي بينه و بين القيروان قدر الليل وإذا بصوت كصوت الغرانيق هول الخيل يخبرهم إن أميركم قد مات .[2]

قال سحنون : فدخلت بحمد الله سالما .

1-الدباغ : المصدر السابق،ص94

2- الخشني : طبقات قضات و علماء إفريقية،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،ط1،1953،ص96

2- ثناء العلماء عليه :

ذكر عيسى بن مسكين عن أستاذه : " لم يكن بين مالك و سحنون أفقه من سحنون ."

وقال أبو الحسن القابسي :"إني لأجد في نفسي من خلاف سحنون لمالك ما لا أجده من خلاف ابن القاسم لمالك." [1]

و قال محمد بن وضاح :"وكان سحنون يروي 99 سماعا وما رأيت في الفقه مثل سحنون في المشرق." وقال سعيد بن الحارث :"جالست الناس بهذا منذ بلغت فما وجدت أجود غريزة من سحنون."[2]

وقال ابن الحارث :"قدم سحنون بمذهب مالك وإجتمع له في ذلك فضل الدين و العقل و الورع و العفاف و الإنقباض فبارك الله فيه للمسلمين فمالت إليه الوجوه و أحبته القلوب و صار زمانه كأنه المبتدأ قد إنمحى ما قبله فكان أصحابه سرج أهل القيروان وأنبه علمائها و أكثرهم تأليفا ."[3]

وقال سليمان بن سالم:" دخلت مصرا فرأيت بها العلماء متوافرين عبد الحكم و الحارث بن مسكين و أبا الطاهر و أبا إسحاق و البرقي وغيرهم و دخلت المدينة وبها أبو المصعب و الفروي ودخلت مكة وبها 13 محدثا ودخلت غيرها من البلدان ولقيت علماءها و محدثيها فما رأيت مثل سحنون و إبنه بعده ."[4]

1- ابن فرحون المالكي :المصدر السابق،ص 265

2- محمد زينهم عزب : المرجع السابق ،ص126

3- الخشني :المصدر السابق،ص 97

4- الدباغ: المصدر السابق،ص94

وقال بعضهم :"ما رأيت أحدا أهيب من سحنون ."و قال الشيرازي :"إليه إنتهت الرئاسة بالعلم في المغرب وعلى قوله المعول بالمغرب وصنف المدونة وعليها إعتمد أهل القيروان ، وحصل له من الأصحاب ما لم يحصل لأحد من أصحاب مالك و عنه إنتشر علم مالك بالمغرب." قال أبو علي بن البصير :"سحنون فقيه زمانه و شيخ عصره وعالم وقته ." قال ابن الحارث :"كان سحنون أفضل الناس صاحبا و أعقل الناس صاحبا وأفقه الناس صاحبا وكانت هذه صفات سحنون فخلق بها أصحابه رحمهم الله.[1]

وسئل أشهب :"من قدم إليكم من المغرب ؟ قال: سحنون .قيل له :فأسد؟ قال :سحنون و الله أفقه منه بـ 99 مرة. وقال أيضا :"ما قدم إلينا من المغرب مثله."[2]

وقال ابن القاسم لإبن راشد:"قل لصاحبك يعني سحنون يقعد فالعلم أولى من الجهاد وأكثر ثوابا و يعطي هذه الخيل التي قدم بها لمن هو في مثل حاله فما قدم علينا من إفريقية مثل سحنون و إبن غانم." وقال عمر بن يزيد :"أول ما تعلمت مسائل الصلاة من سحنون وإن قلت إن سحنون أفقه من أصحاب مالك كلهم إني لصادق [3]

1- الدباغ : المصدر السابق،ص93

2- المصدر نفسه،ص95

3- سعدي ابو حبيب :المرجع السابق،ص44

و قال عبد الرحمن الزاهد: لما خرج أسد إلى العراق شاورته فيمن أقصد بعده : أسمع منه؟ قال لي: عليك بهذا الشيخ فما أعرف أحدا يشبهه و قال غيره كان كلامه لله و صمته لله إذا أعجبه الكلام صمت وإذا أعجبه الصمت تكلم.[1]

وقال يونس بن الأعلى :"هو سيد أهل المغرب." فقال له حمديس القطان :" أولم يكن سيد المشرق و المغرب ."قال:" كان رجلا نبيلا خيرا فاضلا من شأنه فأثنى عليه بالخير ."
وقال حمديس :" رأيت أبا مصعب في المدينة وغيره وبمصر أصحاب ابن القاسم و بمكة علما وعملا من أهل بغداد و الله ما رأيت فيهم مثل سحنون ولا رأيت مثله بعده ."[2]

الخشني:" سحنون إمام الناس في علم مالك و كان فاضلا عادلا مباركا أظهر السنة و أخمد البدعة وثقف رسوم القضاء بعلمه و عقله ." [3]

لقد كان سحنون في نظر العلماء الفقيه الورع الذي لا يهاب سلطانا في طلب العلم و في نصرة الحق، فهو شغوف بنبله و أمين عليه و سخي فيه لمن يريده فهو العالم الزاهد رحمه الله تعالى[2]

1- الدباغ: المصدر السابق ،ص93

2- المالكي: المصدر السابق،ص350

3- الخشني : المصدر السابق،ص103

الفصل الثـــــاني

الفصل الثاني : توليه القضاء .

المبحث الأول : علاقته مع الأغالبة .

إن فترة الأغالبة[1] في التاريخ الإسلامي للمغرب تعد من أمجد الفترات كما يروي المؤرخون فقد دامت أكثر من قرن من الزمان ساد أثناءها إفريقية الإستقرار السياسي .

وكان للمذهب السني و شيوخه نصيب كبير في إقامة و تثبيت دعائم الإستقرار فقد تمكن فقهاء المغرب بمعاونة أمراء الأغالبة من إخراج الخوارج من إفريقية فلم يعودوا يعيشون إلا في جبل نفوسة جنوب طرابلس من أملاك الأغالبة ، أما طرابلس نفسها فكانت سنية يسودها الفقه المالكي [2]

لقد كانت الدولة الأغلبية دولة عربية مسلمة بأتم معنى الكلمة رشيدة الأمر حكيمة السياسة وكان منهجها في الحكم إدماج البربر في العرب و تحويل نشاطهم إلى الخارج مما جعل لإفريقية و أهلها شخصية مميزة و فريدة تختلف كل الإختلاف عن بقية بلدان المغرب الإسلامي[3]. لقد كانت المدن و القرى محطات و مراكز للعلم و الشيوخ و التجار فنهضت حركة علمية و عمرانية واسعة حيث كان الشيوخ و الفقهاء و الزهاد هم رؤساء الناس و المتحدثين بإسمهم أمام الحكام ، لأن بني الأغلب لم يختلطو بالبربر و إنعزلو في مدنهم الملوكية ولا ولا يتصلون

1- الأغالبة :نسبة لبني الأغلب ،تأسست في 184هـ في إفريقية كانت موالية للدولة العباسية في المشرق

2- ابن وردان : تاريخ مملكة الأغالبة ،تق: محمد زينهم عزب،مكتبة مدبولي ،القاهرة ،ط1، 1988،ص35

3- عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقيا :من الفتح إلى نهاية الدولة الأغلبية ،تق: أحمد بن ميلاد ،محمد إدريس ،دار الغرب الإسلامي،بيروت ط1،1987،ص237

بالعامة إلا عن طريق الشيوخ و أهل العبادة .

ومن أبرز الفقهاء في ذلك العصر أسد بن الفرات و سحنون بن سعيد التنوخي لقد كان أسد لتعينه إماما على [1]بن الفرات فقيها بارعا حافظا للمذهب المالكي قام زيادة الله الأول الأغلبي الناس بإعتباره أفضل رجال القيروان في 204 هجري فإبتهج الكبير و الصغير لهذه الولاية لما للإمام من منزلة عالية في الدين و العلم كما إنتدب أسد لقيادة الجيوش الأغلبية لفتح صقلية و خرج معه أشراف إفريقية من العرب و أكابر أهل العلم،[2] أما سحنون بن سعيد فلم تكن له علاقة مع المهالبة نظرا لترحاله في طلب العلم إلى المشرق و أثناء عودته في 191 هجري[3] كانت دولة الأغالبة قد ثبتت أقدامها في بلاد المغرب حيث كان يجلس في جامع القيروان و يعلم الناس و الطلاب الفقه و الفتوى و يعلمهم علوم الدين و آداب السلوك و قد عصر الأمراء الأغالبة الخمسة [4]و هم :إبراهيم بن الأغلب المؤسس ،و أبو العباس بن إبراهيم ،زيادة الله بن إبراهيم الذي تعرض سحنون في عصره للإضطهاد عندما أمرت الدولة العباسية إمتحان الفقهاء القضات في قضية خلق القرآن ،و كان سحنون يرفض القول بخلقه بإعتباره كلام الله المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم[5] كما عصر الأمير أبو العقال بن إبراهيم و أبو العباس محمد بن إبراهيم

لقد أثر سحنون في الأمراء الأغالب و جذبهم إليه عند رجوعه من رحلة علمه إلى المشرق

1- ابن خلدون :المصدر السابق،ص549

2- عبد العزيز الثعالبي :المرجع السابق، ص236

3- الدباغ : المصدر السابق ،ص80

4محمد زينهم عزب :المرجع السابق،ص134

5- القاضي عياض :المصدر السابق ،ص112

وعندما بدأ يلقي مناظراته و يعطي تعليمه و فقهه و تأديبه لطلاب العلم ، فسعد به الأمراء الأغالبة و أعجبهم وخاصة أن إسمه صار على لسان كل أهل إفريقية عن علمه و ورعه و زهده فبدأ إسمه يشتهر و أخذ إحترام العلماء له يتزايد و كانت أخباره تصل إلى قصر الأمير الأغلبي أولا بأول [1]

لأنه كان هناك نفر من الفقهاء يتقربون إلى الأمراء عن طريق نقلهم لأخبار الناس وما يحدث خارج القصر وما يجري في المساجد من مناقشات ، وقد إشتهر بذلك القاضي محمد بن أبي الجواد الذي تقلد ولاية القضاء لزيادة الله بن إبراهيم الأغلبي ثالث أمراء البيت الأغلبي وكان سحنون إذ ذاك شابا لكنه كان يكرهه بسبب خلق القرآن و كان يسميه فرعون الأمة و جبارها و ظالمها [2]

لم تكن علاقة سحنون بن سعيد بالأمراء الأغالبة علاقة حسنة خاصة فيما حدث له في محنته مع زيادة الله الأغلبي بسبب القاضي أبو الجواد ، كذلك لأنه كان يرى في الحكام تمثيلا لمختلف مظاهر الجور والظلم و التكبر

لكن سرعان ما بدأت العلاقة تتحسن وذلك بعدما قدم إليه الأمير الأغلبي و عرض عليه ولاية القضاء بعد عزل علي بن أبي الجواد فلما عزل قال سحنون :"اللهم ول هذه الأمة خيرها و أعدلها " فكان هو الذي ولي بعده .[3]

أما للحديث عن علاقة سحنون بن سعيد مع سكان إفريقية فقد كان بالنسبة لهم الناصر و الحامي لهم من ظلم الأمراء لأنه كان لا يخاف في الله لومة لائم

1- محمد زينهم عزب: المرجع السابق،ص136

2- المالكي : المصدر السابق،ص 348

3-الدباغ :المصدر السابق،ص81

و الحامي لهم من بعض أصحاب النفوذ ،لقد كان سحنون يشبه إلى حد بعيد مالك في علاقته مع الأمراء العباسيين حيث لم يكن إختلاطه بهم إلا في سبيل العلم و نشر الدين السميح و توضيحه و هذا ما عرف عن سحنون بن سعيد قبل توليه القضاء لذلك عزم الأمير الأغلبي و لإرتباط الناس به و معرفتهم له حق عرض طلب الولاية للقضاء لحدته في المسائل المعرفة

المبحث الثاني : سحنون بن سعيد القاضي .

لما توفي محمد عبد الله بن غانم سنة 191هـ[1] أشخص إبراهيم بن الأغلب أبا محرز محمد بن عبد الله الكناني فقال له : إني عزمت على توليتك القضاء فقال له أبا محرز : لست أهلا أو أصلح لهذه الوظيفة . فقال له :لو كان عبد الله بن غانم وابن فروخ باقيين لم تكن انت قاضيا[2] فامتثل أبا محرز الذي كان فصيح اللسان بصير باللغة و الشعر أخذ عن مالك وكان يميل إلى مذهب الحنفية ثم وقع تشريك أسد بن الفرات معه في القضاء وتوفي أبا محرز في 214هـ وكانت ولاية أسد القضاء في 204هـ بعهد من زيادة الله وبعده تولى بن أبي الجواد، لقد جمع سحنون بين العلم الغزير والعمل الصالح المخلص والخلق الرضي واجتمعت على حبه القلوب وقصده طلاب العلم من كل صوب وكان يأخذ نفسه بمذهب أهل المدينة في كل شيء حتى في العيش [4]

يعتبر سحنون بن سعيد من أعلام القضاة في تاريخ القضاء في العالم الإسلامي كله ويندر أن يوجد رجل مثله في المغرب إشتهر بالعلم و الفضل و رشحته فضائله لأن يكون قاضيا فقد كان رجلا بالفعل إماما في العلم ففضله على الناس كبير مما أهداهم من العلم و المعرفة بأصول الدين و الدنيا فكثر أتباعه من طلابه و غيرهم

1-عبد الله بن غانم :تولى القضاء بعد مانع بن عبد الرحمن وكان عادلا في قضاءه ولاه روح بن حاتم سنة 170هـ سمع من مالك وكان مالك يبجله توفي 190هـ

2-مخلوف محمد بن محمد: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ،ج2،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1،2003،ص123

3- المرجع نفسه:ص124

4- محمد صلاح الدين المستاوي: الإمام سحنون ملامح من سيرته و تعريف بموسوعته المدونة في إصدارها الجديد

فأصبحت له مكانة عالية بين أفراد المجتمع و صدق أخلاقه وصفاته المحببة جعلته يتوج بتاج الأمانة و الفقه الصحيح و إلى جانب هذا فقد كان مدرسا مؤدبا تقيا قبل أن يصعد منصة القضاء في الزمن الأغلبي وقبل أن يكون قاضيا كان مفتي تأتيه الناس لشرح مسائلهم و الإجابة عنها لقد إنتشرت شهرته في كامل إفريقية ووصلت حتى المشرق[1] فكان معروفا في كل بقاع العالم الإسلامي ، لقد عمل سحنون عن الإبتعاد عن الأمراء و أصحاب النفوذ كل البعد و كذلك البعد عن الوظائف فهو لم يقبل بوظيفة القاضي التي عرضت عليه من طرف ابن الأغلب الذي ثار ضد أخيه و تابع الأحناف هذه الثورة ،[2] إلا أن محمد تمكن من إسترداد سلطانه و حبس أخاه أحمد سنة 232هـ 847م وعين مكان القاضي الحنفي قاضيا مالكيا وهو سحنون بن سعيد وكان ذلك في عام 233هـ 848م تولى القضاء في الثالث من رمضان من سنة 233هـ

وقد علل هذا التحويل إلى محاولة محمد بن الأغلب عند تولي سحنون بن سعيد القضاء سيرضي بذلك عامة الناس من أهل القيروان لما كان بينه وبين أخيه ما كان [3]

وللحديث عن كيفية ولايته القضاء ، هو أن الأمير الاغلبي إبراهيم بن أحمد بن الأغلب كان قد إضطر يحي بن عمر إلى ولاية القضاء فقال له: إني دللتك على من هو أفضل مني في الوجه الذي تحبه تعفيني. قال له : نعم .

فدله عيسى بن مسكين و كان بالحضرة حمديس إنه و الله أيها الأمير صاحبنا عند سحنون ،جمع الله فيه خلال الخير بأسرها .[4]

1-ابن فرحون: المصدر السابق،ص164

2-ابن عذاري المراكشي:البيان المغرب في تاريخ الأندلس و المغرب،تق:ج.س.كولان،إ.ليفي بروفنسال،ج1،دار الثقافة ،بيروت،ط3،1983،ص117

3- أحمد تيمور بات:المذاهب الفقهية الأربعة،دار الآفاق العربية،القاهرة ،ط1،2001،ص67

4محمد صلاح الدين المستاوي:الإمام سحنون ملامح من سيرته والتعريف بموسوعته المدونة.

الفصل الثاني : توليه القضاء .

تولى سحنون القضاء سنة مائتين وأربع وثلاثين وكانت ولايته استجابة من الله لدعوة دعاها على سلفه القاضي ابن أبي الجواد وكان هذا القاضي معروفا بالجور والظلم والانحراف عن المنهج القويم والتسلط على الضعاف من خلق الله وقد تبرم بسلوكه الخاص والعام فقد مر سحنون ذات يوم بابن أبي الجواد فرأى منه ظلما فقال سحنون "اللهم لا تمتني حتى أراه بين يدي قاض عدل يحكم فيه بالحق"[1] وما درى سحنون ان هذه الدعوة قد وافقت ساعة إجابة وان هذا القاضي العدل إنما هو سحنون

و قد أسند له ذلك من قبل الأمير محمد بن الاغلب قضاء إفريقية سنة 233هـ[2]

لقد تولى القضاء بإفريقية بعد أن راجعه محمد بن الأغلب في ذلك عاما كاملا وهو يأبى عليه حتى حلف له الإيمان المؤكدة و أعطاه العهود المغلضة وكان سنه آنذاك 74سنة فلم يزل قاضيا إلى أن توفي سنة 260هـ [3]

ولم يكن سحنون راغبا في تولي هذه الخطة الخطيرة وما كان يرى نفسه أهلا لها ولكن الامير محمد ابن الأغلب بعد ان استشار الفقهاء وجدهم يكادون يجمعون على أهليته وأهلية سليمان بن عمران ولكن هذا الامير قال بكل تجرد: "ما ظننت انه يشاور في سحنون فرأيت أهل مصر يتمنون كونه بين اظهرهم وما يستحق احد القضاء وسحنون حي ولما اعلم سحنون بالقرار والاختيار عليه تمنع وتملص وقال انه لا يقوى على تولي القضاء فأغلظ عليه محمد بن الأغلب اشد الغلظة وحلف عليه بأشد الإيمان"[4]

1-سعد زغلول : المرجع السابق،ص 295

2-ابن فرحون :المصدر السابق،265

3- الدباغ :المصدر السابق،ص80

4- محمد محمد زيتون: القيروان و دورها في الحضارة الإيلامية ،دار المنار،القاهرة،ط1،1988،ص257

أذعن سحنون للأمر لما علم ان لا مفر منه واشترط على الامير شروطا أراد بها ان يعفي نفسه يقول سحنون: "لم أكن أرى قبول ذلك الأمر حتى كان من الامير معنيان احدهما إعطاء كل ذي حق حقه وأطلق يدي في كل ما رغبت حتى إني قلت: أبدأ بأهل بيتك وقرابتك وأعوانك فان قبلهم ظلمات للناس وأموالا لهم منذ زمان طويل إذ لم يجترئ عليهم من كان قبلي [1]

قال لي :نعم لا تبدأ إلا بهم و أجر الحق على مفرق رأسي .

. فقلت له : الله

. قال لي : الله ثلاثا!

وجاءني من عزمه مع هذا ما يخاف المرء على نفسه وفكرت فلم أجد أحدا يستحق هذا الأمر ولم أجد نفسي سعة في رده ."[2]

لقد رأى سحنون في توليه القضاء إنقاذ للأمة لما كانت تعيشه الدولة الأغلبية في ذلك الوقت من ظلم و جور على يد أصحاب النفوذ و الأمراء ،فقرر في نفسه قبول القضاء بالرغم من رفضه في باديء الأمر فقد رأى الظلم في الأسواق و الق في القضاء حد ذاته عندما كان أبا الجواد قاضيا .[3] وعندما عزل عبد الله بن أبي الجواد القضاء قال سحنون لمحمد بن الأغلب : أيها الأمير أحسن الله مثواك وجزاك ،فقد عزلت فرعون هذه الأمة و جبارها و ظالمها . ولما عزل قال سحنون : اللهم ولي هذه الأمة خيرها و أعدلها [4]

1- محمد محمد زيتون: المرجع السابق ،ص258

2- النباهي ابو الحسن المالقي الأندلوسي : تاريخ قضاة الأندلس،تق:لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة،بيروت،ط5،1983،ص29

3- محمد زينهم عزب : المرجع السابق،ص 147

4سعد زغلول:المرجع السابق،ص296

فكان هو الذي ولي بعده.

ويومئذ كتب له عبد الرحمن الزاهد . بما نصه "أما بعد ،فإني عهدتك وشأن نفسك إليك مهما تعلم من خير و تؤدب عليه و أصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة تؤدبهم على دنياهم يذل الشريف بين يديك و الوضيع و قد إشترك فيك العدو و الصديق و لكل خطة من العدل فأي حالتيك أفضل :الحالة الأولى ؟،أم الثانية. و السلام ؟

فراجعه سحنون أن قال له : "أما بعد فإنه جاءني كتابك و فهمت ما ذكرت فيه و إني أجيبك إنه لاحول ولاقوة في شيء من الأمور الا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب وما كتبت أنك عهدتني و شأن نفسي علي مهما أعلم بخير و أؤدب عليه و قد أصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة وأؤدبهم على دنياهم ، وبعمري أنه من لم تصلح دنياه فسدت أخراه و في صلاح الدنيا إذا صلح المطعم و المشرب صلاح الآخرة [1]

وبلغ به الغم والحزن لعظم الأمر عليه إن أحدا من الناس لم يتجرأ ان يهنيه واكتفى بان قال لابنته خديجة وهي امرأة فاضلة تقية لما دخل عليها بعد توليته (اليوم ذبح أبوك بغير سكين)[2] فعلم الناس قبوله القضاء[3] و التزم سحنون بان يقوم بهذا العمل لوجه الله ورفض ان يأخذ لنفسه رزقا أو عطية من السلطان .قال محمد بن سحنون عن أبيه وموقفه من أخذ راتب أنه قال للأمير: و الله لو أعطيتني ما في بيتك مالا،

1- محمد محمد زيتون: المرجع السابق،ص257

2- خديجة بنت سحنون:أصغر أبناءه عالمة ذات صيانة ودين كان يستشيرها أبوها في شتى الأمور ماتت وهي بكر في سنة 270هـ ودفنت حذو أبيها وأخيها خارج مدينة القيروان . ابن فرحون المالكي: المصدر السابق،ص268

3-الدباغ :المصدر السابق،ص84

و أضاف كلامه :" لو ملأت مجلسك هذا لي دراهم ودنانير ما سألني الله أن أقبل منك ذلك ولا آخذ منك شيئا ،ويقول :" لو أخذته لجاز لي لكنه تورع ،و أضاف قوله للأمير : " حسبت أرزاق أعواني وهم أجزاءك وقد وفوك عملك ولا يحل لك ذلك .[1]

وكانت لسحنون مواقف حازمة مع أصحاب البدع والأهواء من الطوائف والفرق الخارجة على مذهب أهل السنة. ففرق أهل البدع وأخرجهم من الجامع وشرد الفرق الضالة [2]وكانوا قبل ولاية سحنون للقضاء ينشرون بين الناس ضلالاتهم وزيفهم ويفسدون على العامة دينهم ويحرفون لهم عقيدتهم الصافية النقية وكان ذلك يقع منهم في المساجد بدون تخف ولا تستر. وكان هذا الموقف من سحنون شجاعا ذلك ان أمراء الدولة الأغلبية في ذلك الوقت كانوا متجاوبين مع بعض هذه الدعوات مقربين لرؤسائها ودعاتها ولم يكن مع سحنون في هذا المنهج الذي ارتضاه لنفسه إلا التجاوب الشعبي والتعلق المخلص والصادق بمذهب أهل السنة والجماعة[3]

وكان يقيم الحدود على من إستوجب إقامته عليه ولم يكن يغافل عن بسائط الأمور ومستصغرا تها فينقل من يسوء سلوكهم الى جوار قوم صالحين ولم يكن يخشى في الله لومة لائم وما كان يعظم في عينه أي عظيم

قال أبو العرب :"كان لا يهاب سلطانا في حق يقيمه عليه "[4]

.1- المالكي : رياض النفوس ج1،المصدر السابق،ص 275

2- الدباغ : المصدر السابق،ص85

3محمد صلاح الدين المستاوي:المرجع السابق

4:ابو العرب: المصدر السابق، ص112

وكان سحنون يؤدب الناس على الإيمان التي تجوز من الطلاق والعتاق حتى يحلفو بغير الله و يؤدبهم على سوء الحال في لباسهم و مانهى عنه و بأمره بحسن السيرة وللقصد وتخاصم اليه رجلان صالحان من اصحابه فأقامهما وأبا أن يسمع منهما أنشر عني ما نشر الله عليكم[1]

التزم سحنون بإقامة العدل بين الناس وإيصال الحقوق إلى أصحابها فكان لا يتردد عن ضرب الخصوم إذا أذى بعضهم بعضا بكلام وكان يمكن من أصابه رعب من مجلس القضاء من فرصة الاستئناس بالإعراض عنه وهون عليه ثم قال له "ليس معي سوط ولا عصا ولا عليك باس إذا ما علمت ودع ما لا تعلم"[2] .

ولما أكثر من رد الظلامات من رجال ابن الأغلب وأبى ان يقبل منهم الوكلاء على الخصومة الا بأنفسهم وجه إليه الامير وقد شكوه إليه بأنه يغلظ عليهم فأرسل إليه ابن الأغلب وقال : أنهم فيهم غلظة وقد شكوك ورأيت معافاتك من شرهم فلا تنظر في أمره .فقال سحنون للرسول : ليس هذا الذي بيني وبينه قل له خذلتني خذلك الله[3]

فلما أنهى الرسول الرسالة إلى الامير قال له ما نعمل ؟ إنما أراد الله وقال ابن الحارث: قيل لسحنون: هذا منصور دخل تونس بالحرائر فركب وانتزع منه ما بيده فدخل منصور على ابن الأغلب وقد شق ثوبه وشكا إليه ما نزل فأرسل ابن الأغلب إلى سحنون ان تصرفهم على منصور، مرة وثانية وثالثة. فقال : لا افعل

1- ابن فرحون المالكي:المصدر السابق،ص266

2-النباهي : المصدر السابق،ص29

3- محمد محمد زيتون:المرجع السابق،ص258

بحجة أنهم حرائر وفيهم نساء و مثل حاتم لا يؤتم على الفروج و أمر أعوانه فوضعوا عمامة حاتم في عنقه و حملوه إلى السجن فلحقه رجل ولامه على موقفه "يا حاتم لا تلقي الشر بين الأمير و القاضي ."واقبل ابن الأغلب حتى دنا من موضع سحنون وضربت له قبة نزل فيها وقد استشاط غيظا لمصادمته إياه على منصور ودعا فتى فقال له اذهب إلى سحنون فقل له اردد السبي على منصور وإلا فانتتي برأسه[1].

فجاء الفتى إلى سحنون يبكي ويتضرع ويقول : أمرت فيك بعظيم. فاخذ سحنون رقا فكتب بعد الاسم "ويا قوم مالي ادعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار" الآية ودفع الكتاب للفتى ثم قال: ادفعه لابن الأغلب فلما قرأه أمر برفع مضربه[2]

واحتجب ثلاثا ثم قال لمنصور: سلني عما شئت من جوابك واعرض عن خبر سحنون وكان ابن الأغلب يقول في قضيته مع سحنون. ان سحنون لم يركب لنا دابة ولا أثقل كمه بصرة فهو لا يخافنا فأعطاه عوضا عن السبي سبعة دنانير فلما رضي بالتنازل أطلق صراحه سحنون . ويفهم من قول المالكي،أن هذا الموقف من سحنون أتجاه الأمير الأغلبي في قضية حق أغضبت الأمير بدءا فلما لاحظ إصرار تدبر الأمر ففهم الحقيقة وعقب ذلك قال لأصحابه :"أظن أن هذا الرجل لا يريد بنا إلا خيرا و نحن لا نعلم." [3]

وكان لهذه المواقف الجسورة في الحق أثارها على حساده الذين سعوا بكل جهودهم من اجل الوقيعة بينه وبين الأمراء وكان على رأس هؤلاء ابن أبي الجواد المعتزلي القائل بخلق القرآن وبلغ المكر والكيد بابن أبي الجواد إلى درجة أوغر بها صدر الامير زيادة الله الاغلبي [4]

1- ابن ابي الدينار:المؤنس في أخبار إفريقية و تونس،مطبعة الدولة التونسية،تونس،ط1، 1286،ص156

2- ابن فرحون: المصدر السابق،ص266

3- محمد زينهم عزب: المرجع السابق،ص247

4-ابن خلدون:المصدر السابق،ص549

ومن مظاهر قضاء سحنون و براعته في إحقاق الحق و إبطال الباطل هو ما جرى في قضية أبي الجواد القاضي السابق للدولة الأغلبية.

فقد إستقضى عليه و ظهرت عليه أموال تلدد في قضائها فضربه على ذلك بالصوط وتلك[1] الأموال كانت لورثة القلفاط يطلبونه إياها بخمسمائة دينار وديعة و استظهروا بخطه فأنكر الوديعة و الخط فكان سحنون يخوجه كل جمعة فإذا إستمر في الإنكار ضربه عشرة أصواط وأرادة زوجته فداءه بمالها فإمتنع سحنون إلا أن يعترف. وبقي كذلك إلى أن مرض و مات في السجن [2].

1- الخشني : المصدر السابق،ص 257

2- المراكشي: المصدر السابق،ص119

المبحث الثالث : دوره في القضاء .

لقد كان في تولية سحنون للقضاء دور كبير في إفريقية حيث قام بعدة إنجازات مهمة دينية و متعددة لم يعملها أحد من القضاة قبله إذ يعتبر سحنون القاضي مولد عصر جديد عرفت من خلاله إفريقية تنظيما أساسيا في مختلف مجالاتها خاصة القضائية ،تركت له بصمات في تاريخ المغرب و إفريقية في القرنين الثالث و الرابع من الهجرة .

لقد أدخل سحنون على القضاء خلال ولايته كثيرا من الإصلاحات و التنظيمات و التشريعات التي إستنها لتطبيق الشريعة و إصلاح الحياة الإجتماعية [1]

فقد كان في القضاء يكتب للناس أسماؤهم في رفاع تجعل بين يديه و يدعوا بهم واحدا إلا أن يأتي مضطر أو ملهوف فيقدم النظر في أمره ،و كان يجلس في بيت في الجامع بناه لنفسه إذ رأى كثرة الناس و كثرة كلامهم ، فكان لايحضر عنده غير الخصمين ومن يشهد بينهما في دعواهما و سائر الناس بمعزل لا يراهم ولا يسمع لغطهم ولا يشغل باله أمرهم فصار الجلوس في ذلك البيت سنة لقضاة المالكية [2]

وكان يضرب الخصوم إذا آذى بعضهم بعضا بالكلام أو تعرض للشهود وكان يقول :"إذا تعرض للشهود كيف يشهدون ."[3] كان يؤدب الخصم إذا ضغن في

1- بن حميدة ماجدة: السنة في المغرب الإسلامي من القرن2هـ إلى القرن5هـ مذكرة الماستر ،قالمة ،2013،ص42

2- ابن فرحون: المصدر السابق، ص266

3- المصدر نفسه،ص267

الشاهد بعين أو تجريح و يقول للخصم :"أنا أعني بذلك منك وهو على دونك ."

وكان إذا دخل عليه الشاهد ورعب منه أعرض عنه حتى يستأنس و يذهب روعه فإن طال ذلك به هون عليه وقال له :"ليس معي سوط ولا عصا ولا عليك بأس ." إذ ماعلمت ودع ما لا تعلم ،[1]

وهو أول القضاة من جعل في الجامع إماما يصلي بالناس وكان ذلك للأمراء ، و نظر سحنون في أمر الأسواق و نظر فيما يصلح من المعاش وما يغش من السلع و جعل الأمناء على ذلك وأدب على الغش و نفى من الأسواق من يستحق ذلك.[2]

كما عرف عصر سحنون تطورا كبيرا في النظم الإدارية في إفريقية ذلك أن قضاة إفريقية قبله كانو يحصرون القضاء في الفصل في الخصومات و توابعها و يمارسون بأنفسهم مهمة النظر في المظالم و مهام المحتسبين وهم من ينتصبون للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في الأسواق و الطرقات و المؤسسات العامة حفاظا على الذوق العام و على مصالح المجتمع [3]

أما سحنون فقد ضم وظيفة الحسبة إلى القضاء فمارسها سحنون معا وإجتمعا في شخصه ففصل الخصومات و أدب الناس على مخالفة الذوق العام في إطار المصلحة و الشريعة [4]

1- ابن فرحون:المصدر السابق،ص266

2-الدباغ :المصدر السابق،ص88

3- موسى لوقبال:تاريخ المغرب الإسلامي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،ط2،1984،ص108

4- المرجع نفسه،ص109

وكان أول قضاة إفريقية من شرف الوظيفة و جعلوها مظبوطة و جابهوا الولاة المستبدين و الخصوم غير المهذبين فكان يؤدب الخصوم إذا تعدو حدود اللياقة و أول من حارب التطرف الديني و إضطهد المذاهب الدينية غير السنية و ضيق على أهل الأهواء و البدع وحضر عليهم التجمع في المساجد ومنعهم من إمامة الناس و الإفتاء لهم أو تعليم الصبيان [1]

لقد قام سحنون بن سعيد بكل هذه الأعمال في إطار وظيفة المحتسب كما يفهمها رجال المذهب المالكي ولأهمية هذه الوظيفة فصلها سحنون عن القضاء و أفردها بوال مستقل سماه أمين السوق أو المحتسب، وكان يراقب قضاة النواحي و يؤنبهم على مجاوزاتهم حدود الشرع [2]

وكان سحنون في تمسكه بمذهب مالك بن أنس ،يولي قضاء الأقاليم بعض الأحناف فقد ولي سليمان بن عمران قضاء بجاية و باجه و الأريس قال سليمان:" ولاني سحنون القضاء ، وقال :عليك يا أبا الربيع بالحجازية . فقلت :القاضي مفت فيما كنت أفتي به فبه أقضي فسكت [3]عني كما كان يكتب لأعوانه بقتل الكلاب بسب انتشار داء الكلب و ذلك ناشيء لمعرفته بالطب و هو ماعبر عنه ابو العرب بان سحنون كان جامعاالعلم فقيه البدن [4]

1- محمد صلاح الدين المستاوي،المرجع السابق

2- الدباغ: المصدر السابق،ص88

3- محمد محمد زيتون:المرجع السابق،ص258

4- ابو العرب: المصدر السابق،ص112

وهو أول من جعل الودائع عند الأمناء و كانت قبل ذلك في بيوت القضاء وقال عيسى بن مسكين :فحصل الناس بولايته على الشريعة من الحق و لم يلي قضاء إفريقية مثله و يقال إنه مابورك لأحد بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ما بورك لسحنون لسحنون في أصحابه فإنهم كانو أئمة في كل بلدة .[1]

وكان الذين يحضرون مجلسه من العباد أكثر من طلاب العلم و كان يقول : ما أحب أن يكون عيش الرجل إلا عن قدر ذات اليد ، ولا يكلف ما في وسعه و أكل أموال الناس بالمسكنة و الصدقة خير من أكله بالعلم و القرآن و قال: من لم يعمل بعلمه لم ينفعه العلم بل يضره و إنما العلم نور يضعه الله تعالى في القلوب فإذا عمل به نور الله قلبه ومن لم يعمل به و أحب الدنيا أعمى الله حب الدنيا قلبه و لم ينوره العلم .[2]

1- الدباغ: المصدر السابق،ص88

2- محمد زينهم عزب: المرجع السابق،ص163

الفصل الثالـــث

الفصل الثالث : آثاره .

تمهيد:

رحل إلى الإمام مالك عدد من طلاب العلم من كل الأقطار ، جاء بعضهم من الغرب الإسلامي ، وبعد تلقيهم العلم بالمدينة المنورة عادوا إلى أوطانهم ، وعلى يدهم بدأ فقه الإمام مالك ينتشر، لقد ثبت أن المذهب المالكي دخل الغرب الإسلامي في حياة صاحب المذهب ، وذلك على يد الآخذين عن مالك في المدينة المنورة ممن رحلوا إليه من أهل إفريقية ، وأصبح تلاميذ الإمام أساتذة يعلمون الناس فقه الإمام واجتهاداته ومنهجه في استنباط الأحكام ، إلى جانب ذلك جلبوا معهم كتاب الموطأ ، وهو كما سلف القول ، كتاب حديث وفقه ، وبدءوا في تعليمه ونشره في الغرب الإسلامي.

ومن العوامل التي أدت الى إنتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب هي : رحلة المغاربة إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ،و المدينة يومئذ دار علم ولم يكن العراق من طريقهم فاقتصروا الأخذ عن علماء المدينة و إمامهم يومئذ مالك بن أنس فقلده أهل المغرب ،ضف إلى ذلك تشابه البيئتين المغربية و الحجازية فهما أقرب إلى البداوة بالنظر إلى أن مذهب مالك يتناسب و بساطة الصحراء ومن العوامل أيضا النزعة الإستقلالية التي يتمتع بها سكان المغرب الإسلامي و التطلع لتكوين شخصية خاصة بهم

أما الفضل الكبير لإنتشاره يرجع لتلاميذ مالك الذين كونوا مدرسة مالكية تحمل أرائهم ومختلف كتبهم وكتب تراجم العلماء الصالحين

وأبرز شخصية يرجع لها الفضل في نقل الفقه المالكي الى بلاد المغرب هو الفقيه علي بن زياد الذي أدخل لأول مرة موطأ الإمام مالك الذي أقبل طلبة العلم لأخذ عنه كما يعد عبد الله بن فروخ من العلماء الذين ساهموا في نشر المذهب المالكي في إفريقية جاء انتشار فقه الإمام مالك واجتهاداته نتيجة لجهود تلاميذه الذين حملوا علمه ونقلوه إلى مختلف الأمصار ، وساهموا في نشره وتدريسه فكونوا علماء ساهموا في خدمة المذهب 46

وتطوره ، وأن أول من أدخل فقه الإمام مالك إلى أفريقية (ليبيا وتونس) هو علي بن زياد الطرابلسي ، ومن خلال تلاميذه انتشر المذهب ساهم علماء المالكية على مختلف العصور في خدمة المذهب ، وانتشاره في مختلف الأقطار ، وذلك عن طريق التدريس والتعليم ، وتأليف الكتب

لم يتخلف علماء هذه البلاد عن أداء دورهم في خدمة الفقه المالكي ، فقد أسهموا في ذلك بتأليف الكثير من الكتب التي كان لها قبول حسن وانتشار واسع، وأن هذه البلاد لم تكن قفرا من العلم ، أو يسود في أرجائها الجهل ، ولا يزال عطاؤها مستمرا بحمد الله تعالى

الفصل الثالث: آثاره .

المبحث الأول: مؤلفاته .

المدونة الكبرى:

سحنون بن سعيد ذلك الرائد الفقهي لمذهب المالكية و حامل شعلة العلم الإسلامي المدرس و المؤدب و الفقيه و الذي له دور كبير في نشر المذهب المالكي وبالرغم من ذلك إلا أنه لم يتجه للتأليف كما فعل قبله مالك بن أنس و غيره فقد كرس حياته في تنظيم و جمع أقاويل مالك و تصحيح الفاسد منها و الخاطيء و أصبحت من خلاله المونة الكبرى، لقد أصبح إسم المدونة علما على الصيغة الأخيرة المنقحة و المهذبة لما عرف من قبل بالأسدية أو مدونة أسد بن الفرات ويكنى أبا عبد الله مولى بن سليم [1]،قال ابو العرب :أصله من أبناء جند من خراسان [2]ولد بنجران في سنة 142هـ إنتقل به أبوه إلى تونس وفنشأفيها و حفظ القرآن سمع من علي بن زياد التونسي و تفقه به و رحل إلى مالك و جمع موطأه و التقى أصحاب بن حنيفة و سمع منهم الحديث و سمع عن عبد الحمن بن القاسم وعنه دون الأسدية و قدم بها القيروان إستقضاه زيادة الله ابن الأغلب وأمره على الجيش لغزو صقلية توفي وهو محاصر لسرقوسة "[3]

والمدونة الكبرى هي مجموعة من الأسئلة و الأجوبة عن مسائل الفقه ورد ت للإمام مالك بن أنس جمعها تلميذه أسد بن الفرات وتشتمل على ست وثلاثين ألف مسألة[4]

ابن الأبار: الحلة السراء،تق:حسين مؤنس، ج1،دار المعارف، القاهرة،ط2،1985،ص 381

2- الذهبي: سير أعلام النبلاء،تق:سعيد الأرناؤوط،محمد نعيم العرقسوسي،ج10،مؤسسة الرسالة ،بيروت،ط1، 1982،ص225

3- أبو العرب:المصدر السابق،ص116

4- حسن إبراهيم حسن :تاريخ الإسلام: الديني والثقافي والإجتماعي،ج2،دار الجيل،بيروت،ط14،199-،ص312

وهي عبارة عن كتاب فقه على المذهب المالكي تعرض لمسائل الفقه الرئيسية من العبادات و المعاملات عرضا بليغا موجزا و تعتبر من أشمل كتب الفقه الإسلامي[1] ،وهي أحسن تدوين سماع عرف عن مالك بن أنس و تنسب إلى سحنون بن سعيد التنوخي ومن خلالها يرجع له الفضل في نشر المذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي[2] .لقد كانت المدونة إنحدارا للأسدية التي ألفها أسد بن الفرات فقام سحنون بتحقيقها و شرحها و تبويبها و تنظيمها وفي ذلك يقال أن أسد بن الفرات نفسه نصح بالأخذ عنها برواية سحنون بعد أن خرج هو لغزو صقلية في 233هـ[3] فسحنون هو صاحب المدونة [4]، لكن هناك من ينسبها إلى عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي أشهر تلاميذ مالك بن أنس وذلك لأنه الراوي لتلك السماعات و الأجوبة عن الإمام مالك بن أنس ثم تضمنها الكثير من آراءه و إجتهاداته الخاصة [5] وهناك من ينسبها إلى الإمام مالك بن أنس نفسه بالنظر إلى أغلب إجتهاداته و الأقوال التي قالها مالك بن أنس و تنسب بالأصح إلى سحنون بن سعيد لأنه من صحح مسائلها عن ابن القاسم ثم قام بتهذيبها وترتيبها وتذييلها بالآثار ،وأصبحت المدونة أصل الفقه المالكي وما عاداها لا يعتمد عليه وهي مقدمة غيرها و تأتي في الدرجة الثانية بعد الموطأ.[6]

1- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: تاريخ المغرب ة الأندلس، مكتبةنهضة الشرق ،القاهرة،1984،ص135

2-حسين مؤنس:معالم تاريخ المغرب والأندلس،مكتبة الأسرة ،د ـ م،1993،ص

3- سعد زغلول : المرجع السابق،ص

4- شهاب الدين الدمشقي:المصدر السابق،ص314

5-ابي زيد القيرواني: النوادر و الزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات،تق:عبد الفتاح محمد حلو،ج1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط1،1999،ص8

6- محمد إبراهيم علي: إصطلاح المذهب عند المالكية ،دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث،دبي،ط1،2000،ص127

لقد قرأ سحنون عن الأسدية في رحلته إلى مصر التي ألفها أسد بن الفرات و التي كانت مؤلفة على مذهب أهل العراق فسلخ أسد بن الفرات الأسدية و قدم بها المدينة يسأل عنها مالكا و يردها على مذهبه فألقاه قد توفي[1] فاجتمع مع عبد الله بن وهب فسأله عن مسألة فأجابه ابن وهب بالرواية فأراد أن يدخل عليه غير الرواية فقال له ابن وهب :"حسبك إذ أدينا إليك الرواية ".ثم أتى أشهب ليسأله عن مسألة فأجابه فقال له أسد: من يقول هذا مالك أو أبو حنيفة ؟فقال أشهب : هذا من قولي عافاك الله[2]. فأعرض عنه و أتى ابن القاسم و طلب منه ذلك فأبى فلم يزل به حتى شرح الله صدره لما سأله مسألة لم يكن عنده سماع لها من مالك فقال : سمعت مالكا يقول كذا وكذا حتى أكملها و ما لم يكن عنده فيه بلاغ من مالك قال: لم أسمع منه في ذلك شيئا و بلغني أنه قال فيها كذا و كذا حتى أكملها يقول الدباغ : فكان يغدوا إليه كل يوم يسأله و يجيبه ابن القاسم حتى دون ستين كتابا وسماها الأسدية فرجع أسد بلاده بها وسمعها الناس منه [3] لقد صاغ أسد من خلال أسديته في فقه مالك الجمع بين منهج الفقهاء العراقيين الفرضي و منهج المالكيين الأثري للوصول إلى منهج فقهي جديد نجح فيه أسد إلى حد بعيد بعد أن أقنع ابن القاسم في تنزيل أراء مالك على مسائل الحنفية مخرج أول نص فقهي مالكي الآراء حنفي المنهج[4] ولما رجع بها إلى بلاده طلبها سحنون منه فأبى ثم توصل إلى نسخها فنسخها و رحل بها إلى ابن القاسم فقرأها عليه فأخذ منه وعارض مسائل كثيرة من الأسدية وأسقط منها ما كان يشك فيه من قول مالك[5]

1- محمد مخلوف: المرجع السابق،ص123

2-المالكي :المصدر السابق،ص261

3- الدباغ: المصدر السابق،ص85

4- محمد محمد زيتون: المرجع السابق،ص258

5- احمد أمين :ضحى الإسلام،ج2،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1998،ص191

ورجع عن كثير منها و كتب سحنون مسائلها و دونها و أثبت ما رجع عنه منها و كتب لأسد أن عارض كتبك عن كتب سحنون فإني رجعت عن أشياء مما رويتها عني يأخذ بكتاب سحنون[1] فلما وقف ابن الفرات على نسخة ابن القاسم عزم على العمل به فقال له أصحابه :إن عملت بهذا صار كتاب سحنون هو الأصل وبطل كتابك وتكون أنت قد أخذته عن سحنون فلم يعمل بكتاب ابن القاسم فأنف أسد من ذلك وأبى فبلغ ذلك ابن القاسم فدعا ألا يبارك الله له فيها فكان مجاب الدعوة فلم يشتغل بكتاب أسد و مال الناس إلى المدونة[2]،لقد تصدى سحنون بن سعيد لهذا التيار الجديد و أبى إلا أن يعود بفقه مالك بن أنس إلى النهج الأثري الخالص بعدما راجع ابن القاسم فأبى أسد ان يأخذ بكتاب سحنون وأنف من ذلك و قد أدى رفض الأسدية لسببين هامين هما :

- أنه بنى إدراج مذهب على مذهب آخر حيث وقع الإختلاط في الأقوال و الإختلال

- وأيضا أن فقهاء المالكية إعتادوا بناء الفقه على الحديث و الآثار كما هي طريقة مالك في الموطأ[3]

لقد عاد سحنون إلى القيروان بالمدونة الكتاب الذي حمل إسمه و خلده وتزعم به المذهب المالكي في المغرب كله،إذا المدونة هي إستدراك للأسدية و تصحيح لها فقد راجع سحنون ابن القاسم فيها مراجعة فقيه قد تفقه في علم مالك وكانت لما جمعها أسد لا مبوبة ولا مرتبة فرتبها سحنون و بوبها وإحتج لبعض مسائلها [4]

1- ابن خلدون: المصدر السابق،ص549

2- ابن خلكان:المصدر السابق،ص 181

3- محمد إبراهيم علي،المرجع السابق،ص117

4- محمد محمد زيتون:المرجع السابق،ص258

بالآثار وإنتشرت منها إلى الأندلس وكان لها الفضل في نشر المذهب المالكي في قطري المغرب و الأندلس فهي ليست من تأليف مالك و إنما هي جمع لفتواه في مسائل وإجتهاد من تلاميذه وتلاميذ تلاميذه في وضع أحكام المسائل على قواعده و مبادئه لقد أصبحت المدونة منذ أن عاد بها سحنون إلى المغرب ينظر إليها نظرة تقدير و تبجيل عميقين فقد أصبحت المعول عليها [1]في كل الدراسات الفقهية فضلا عن الأخذ بإتجاهاتها في التطبيق الواقعي للحياة يقول سحنون :"عليكم بالمدونة فإنها كلام رجل صالح وروايته." ويقول:"إنما المدونة من العلم بمنزلة أم القرآن من القرآن تجزى في الصلاة من غيرها ولا يجزى غيرها عنها، أفرغ الرجال فيها عقولهم وشرحوها وبينوها فما اعتكف أحد على المدونة ودارسها إلا عرف ذلك في ورعه وزهده وما عداها أحد إلى غيرها إلا عرف ذلك فيه ."[2]

لقد أعطيت المدونة إسما آخر هو المختلطة لإختلاط المسائل فيها فقام بترتيبها،فالمدونة الموجودة بين أيدينا هي ثمرة جهود ثلاثة من الأئمة مالك بإجاباته وابن القاسم بقياساته وزياداته وسحنون بتنسيقه و تهذيبه وتبويبه وبعض إضافاته[3]

لقد حوت المدونة أصل علم المالكية وتأتي في مقدمة الدواوين الفقهية المالكية على الإطلاق بعد الموطأ و المدونة عند أهل الفقه ككتاب سبويه عند أهل النحو[4] فمن الطبيعي أن تصبح للمدونة تلك المكانة العظيمة لا في المغرب الأدنى فحسب بل في المغرب كله و الأندلس، ولم يكن يدانيها أي مؤلف فقهي مالكي على الإطلاق حاشا الموطأ ومن هنا كذلك كانت محط رغبات الفقهاء في المغرب و الأندلس إختصارا وشرحا وتعليقا،

1- احمد امين : المرجع السابق، ص191

2- المالكي: المصدر السابق،ص261

3- ابن خلكان : المصدر السابق،ص182

4- محمد ابراهيم علي: المرجع السابق،ص118

ومن الكتب التي أحضرها سحنون إضافة إلى المدونة ورواها تلاميذه عنه وتوجد بمكتبة القيروان العتيقة الجزء الرابع والخامس من كتب الحج لأشهب بن عبد العزيز المصري رواية أبي سعيد سحنون بن سعيد وأرقامها المسلسلة من 1083إلى 1124 وكتاب البيوع من موطأ مالك رواية سحنون عن عبد الرحمن بن القاسم وأرقامها مسلسلة من 1342إلى 1353 وكتاب العلم من جامع عبد الله بن وهب المصري رواية عيسى بن مسكين عن سحنون بن سعيد عن ابن وهب وأرقامها من1601إلى 1652الموطأ رواية سحنون بن سعيد القيرواني عن عبد الرحمن بن القاسم نسخة جيدة وقطعة من المدونة بها سماع مؤرخ في سنة 306هـ وبها تعداد كتب أشهب سماعات بخطوط أصحابها ،وكتاب الشعر والغناء من جامع عبد الله بن وهب رواية عيسى بن مسكين عن سحنون بن سعيد عن ابن وهب كما يوجد الموطأ رواية سحنون بن سعيد القيرواني عن عبد الرحمن بن القاسم نسخة جيدة .[1]

1- محمد محمد زيتون:المرجع السابق،ص258

المبحث الثاني : كبار تلاميذه .

نبغ على يد الفقيه سحنون بن سعيد عدد كبير من العلماء و الفقهاء والقضاة الذين واصلوا رسالته في نشر العلم في إفريقية وجعلها قاعدة من قواعد الفقه الإسلامي و الدراسات العربية، ومن إفريقية إمتد أثر مدرسة إفريقية و خاصة في عهد سحنون إلى بقية نواحي المغرب والأندلس ليبثوا ما تعلموه من فقه ودين و علم وتقوى وفضيلة [1]

لقد إشتغل سحنون منذ عودته إلى القيروان بتدريس المدونة ونشر المذهب المالكي ،وقد كثر أتباعه الذين أخذوا العلم وتأدبوا بأدبه وكانت حلقته العلمية غاصة بالطلاب والعلماء لا من القيروان وحدها بل من جميع أنحاء المغرب و صقلية والأندلس ولا نقرأ عن تاريخ العلماء في أي بلد من المغرب إلا ونجد منهم عدد كبير قد حمل الفقه عن سحنون [2]،لقد سمع من سحنون من أهل الأندلس وهم كثيرون ما جاوز السبعين عالما وقد إختلف المؤرخون في عدد التلاميذ ما بين أربعمائة وسبعمائة طالب [3] ومنهم من أهل المغرب :

1- محمد بن سحنون بن سعيد : ولد أبو عبد الله محمد بن سحنون بن سعيد التنوخي سنة 202هـ 817م، في القيروان والقيروان إذ ذاك دار سنة ومحطة طلاب علوم الشريعة عن سائر أنحاء المغرب[4] ،وكانت القيروان عاصمة الدولة

1- محمد زينهم عزب: المرجع السابق،ص180

2- يوسف بن أحمد حوالة :الحياة العلمية بإفريقية :منذ اتمام الفتح إلى القرن 5هـ ،جامعة ام القرى،ج1، مكة،ط1،2000،ص331

3- محمد محمد زيتون: المرجع السابق،ص260

4- محمد بن سحنون:آداب المعلمين،تق: محمد العروسي المطوي،د ـ ن،تونس، 1972،ص15

الأغلبية في عهد ثالث أمرائها زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب (201-223هـ)، وعاصر ستة من أمراء هذه الدولة التي استقلت عن الخلافة العباسية ووطدت الأمن في إفريقية،وشجعت العلماء وناصرتهم نشأ محمد بن سحنون في القيروان مستفيدا من المناخ العلمي الذي كانت تحتضنه، وقد شاءت العناية الإلهية أن يتوالى تربية محمد والده الإمام سحنون الذي كان في الثانية والأربعين عندما ولد محمد[1]، وكان سحنون يجتهد في تربية ابنه محمد على الأخلاق الحميدة كما كان يلحظ ما امتاز به منذ طفولته من ذكاء ونباهة وإحساس مرهف، فكان يوجه مؤدبة إلى الطريقة المناسبة في معاملته قائلا: «لا تؤدبه إلا بالمدح ولطيف الكلام، ليس هو ممن يؤدب بالضرب والتعنيف واتركه في نحلتي، فإني أرجو أن يكون نسيجا وحده وفريد زمانه"[2]

وكان سحنون يشبه ابنه بعلم شهير من أعلام المالكية، وهو أشهب بن عبد العزيز المصري، صاحب مالك، فيقول: «ما أشبهه إلا بأشهب»[3]، وكان سحنون يقول عن الفقيه أشهب: "رحم الله أشهب ما كان أصدقه وأخوفه لله تعالى، ما كان يزيد حرفا واحدا " ما كان والشيوخ الذين أخذ عنهم محمد أحد يناظر أشهب إلا اضطره بالحجة حتى يرجع إلى قوله[4] بن سحنون في القيروان كثيرون، وفي مقدمتهم والده الإمام،وسمع من ابن أبي حسان و موسى بن معاوية وعبد العزيز بن يحي المدني[5]. رحل محمد بن سحنون إلى المشرق سنة (235هـ)، وهو في الثالثة والثلاثين من عمره، لأداء فريضة الحج ولأخذ العلم والتقى بالمدينة أبا مصعب الزهري وابن كاسب وسمع من سلمة بن شبيب

1- محمد أبو الاجفان:محمد بن سحنون،مجلة الوعي الإسلامي الكويتية ،عدد 296،1998

2- الدباغ: المصدر السابق،ص149

3- الخشني: المصدر السابق،ص227

4- محمد بن سحنون : المصدر السابق،ص16

5- المالكي : رياض النفوس ج2،ص131

الفصل الثالث: آثاره

كان محدثا بصيرا بالآثار واسع العلم متحريا متقنا علامة كبير القدر وكان يناضره أباه [1] عاد محمد بن سحنون من رحلته وأبوه متولي القضاء بإفريقية فإنكب على تدوين نتائج أبحاثه ،حكى عن نفسه فقال:"دخل علي أبي وأنا أؤلف كتاب تحريم السكر فقال:"يا بني إنك ترد أهل العراق ولهم لطافة أذهان وألسنة حداد فإياك أن يسبقك قلمك."[2]وقيل لعيسى بن مسكين :من خير من رأيت في العلم .قال: ابن سحنون .وقال أيضا :ما رأيت مثل سحنون وابنه محمد.وقال فيه إسماعيل بن القاضي بن إسحاق:هو الإمام بن الإمام . قال ابن الحارث: كان من الحفاظ المتقدمين المناظرين المتصرفين وكان كثير الكتب غزير التأليف[3].قال فيه الخشني: " كان عالما فقيها مبرزا متصرفا في الفقه والنظر ومعرفة احتلاف الناس والرد على أهل الأهواء والذب عن مذهب مالك" [4]

ألف ابن سحنون كتاب المسند في الحديث وهو كبير وكتابه الكبير المشهور الجامع جمع فيه فنون العلم والفقه فيه عدة كتب نحو ستين كتابا ومنها كتب السير عشرين كتابا وكتاب المعلمين ورسالته في السنة وكتاب في تحريم المسكر ورسالة في آداب المتناظرين جزآن وكتاب الحجة على القدرية وكتاب الحجة على النصارى وكتاب الإمامة توفي سنة خمس وستين ومائتين وقيل : لما مات ضربت الخيام حول قبره ، فأقاموا شهرا ، وأقيمت هناك أسواق الطعام ، ورثته الشعراء ، وتأسفوا عليه [5] .

2- ابن عبدوس : هو محمد بن إبراهيم بن عبدوس بن بشير،أصله من العجم وهو من موالي قريش من كبار أصحاب سحنون وأئمة وقته إماما في الفقه صالحا

1- ابن فرحون: المصدر السابق،ص334

2- علياء هاشم ذنون محمد المشهداني: المرجع السابق،ص44

3- ابن فرحون : المصدر السابق،ص335

4- الخشني: المصدر السابق،ص198

5- محمد بن سحنون : المصدر السابق،ص16

زاهدا ظاهر الخشوع منأشبه الناس بأخلاق سحنون كان حافظا لمذهب مالك و الرواة من أصحابه وهو فقيه المغرب قال فيه أبو العرب :"كان ثقة إماما ذا ورع وتواضع بذ الهيئة كان أشبه شيء بأحوال شيخه سحنون في فقهه وزهادته وملبسه و مطعمه " [1] وهو رابع المحمدين الذين اجتمعوا في عصر واحد من أئمة مذهب مالك تفقه على يد موسى بن معاوية الصمادحي و عبد العزيز المدني وسحنون قال عنه حماس ابن مروان القاضي :" ما رأيت مثل ابن عبدوس في الفقه والعبادة ."[2] له عدة مؤلفات منها كتاب سماه المجموعة على مذهب مالك وأصحابه وأعجلته المنية قبل إتمامه وله أيضا كتاب التفاسير وهي كتب فسر فيها أصولا من العلم وله كتب فضائل أصحاب مالك و مجالس مالك بأربعة أجزاء [3]،أقام محمد بن عبدوس سبع سنوات في داره لا يخرج إلا يوم الجمعة وصلى الصبح بوضوء العتمة ثلاثين سنة خمسة عشرة في الدراسة و خمسة عشرة في العبادة ،وتوفي في 260هـ وصلى عليه أخوه أبي إسحاق وولد عام 202هـ في عام محمد بن سحنون [4]

3- عيسى بن مسكين: هو أبو موسى عيسى بن مسكين بن منظور الإفريقي أصله من العجم العالم العامل الفقيه الثقة الأمين الفاضل القاضي تولاه جبرا وبقي به ثمانية أعوام سمع من سحنون بن سعيد وإبنه وأبي جعفر الأبلي والحارث بن مسكين وابن المواز فقيه مصروغيره من علماء القيروان وكذلك يونس بن عبد الأعلى ومحمد بن سنجر[5] وقيل أن عيسى بن مسكين قابل أكثر من ألف من أهل

1-ابو العرب: المصدر السابق،ص136

2-محمد زينهم عزب: المرجع السابق،ص194

3- الخشني: المصدر السابق،ص133

4- القاضي عياض: المصدر السابق،ص337

5- ابن فرحون: المصدر السابق،ص299

الحديث كان من أهل الفضل البارع الورع الصحيح والصمت الطويل وكان من أهل الفقه و الآثار[1] مهيبا وقورا ثقة مأمون صالح كثير الكتب وكان يشبه سحنون في هيبته وكان إعتماده كليا عليه وبه كان يقتدي في كل الأمور وكان محمد بن سحنون يقول فيه: يا أهل الساحل هذا فضلكم و خيركم وإمامكم وإذا حدث وتفاخر أهل المدينة و أهل العراق برجالهم ،فيقال لأهل العراق :هل عندكم مثل عيسى بن مسكين ،فيردون :ذلك أفضلكم وأفضلنا [2] عرض عليه الأمير الأغلبي ولاية القضاء بعد أن عرض أولا على يحي بن عمر،فنفر عيسى في بداية الأمر فضم إليه الأمير كاتبا يصدر عليه القول في كل الأمور لأنه كان كثير الصمت فقبل عيسى الوظيفة لكنه لم يقبل الأجر مقلدا بذلك إمامه سحنون بن سعيد توفي عيسى بن مسكين في سنة 275هـ [3]

4- أحمد بن محمد بن حمديس القطان : ينتمي نسبه إلى سلالة أبي موسى الأشعريوهو من كبار أصحاب سحنون بن سعيد كان عالما في الفضل مثلا في الخير متمسكا بمذهب أهل السنة كان ثقة ورعا مؤمونا يضرب به المثل في العبادة[4] كان يقول: لا تسلمو على أهل الأهواء. وقال أبو سعيد بن محمد بن سحنون : لما اعتل حمديس أحضرنا له طبيبا ،فتبسم وقال:ما أقبح المخالفة بعد الموافقة ،من أراد به الله حالا وأراد هو غيره أليس قد خالف؟.[5]

5- جبلة بن حمود بن عبد الرحمن: الفقيه العالم هو ابو مصعب جبلة بن حمود بن

1- الخشني:المصدر السابق،138ص

2- ابن فرحون: المصدر السابق،ص314

3-النباهي: المصدر السابق،ص187

4- ابي إسحاق الشيرازي الشافعي: طبقات الفقهاء،تق:إحسان عباس،دار الرائد العربي،بيروت،د ـ ت،ص157

5-المالكي: المصدر السابق،ص489

الفصل الثالث : آثاره .

عبد الرحمن الصدفي الزاهد الفاضل سمع من سحنون بن سعيد ومن محمد بن رزين وغيرهم ترك سكنى الرباط ونزل القيروان فقيل له في ذلك فقال: كنا نحرس عدوا بيننا وبينه البحر والآن حل العدو بساحتنا وهو عبيد الله الشيعي توفي جبلة في 299هـ بالقيروان ودفن بباب سالم ومولد في 216هـ[1] قال فيه الخشني : كان من أهل الخير البين والعبادة الظاهرة والورع والزهد وكان الغالب عليه النسك و الزهد وكان أبوه من أهل الدنيا و المال وممن يصحب السلطان . وله كتب سماها المجموعة[2] 195

بالإضافة ألى من سمع من سحنون من أهل الأندلس :

احمد بن سليمان بن أبي الربيع من أهل البيرة وهو أحد السبعة الذين كانو بها في وقت واحد من رواة سحنون بن سعيد كان فقيها توفي 287هـ ، وإسحاق بن يحي رحل وسمع من سحنون ، وبشر بن جنادة كان من سكان الأندلس و أصله من البربر سمع من سحنون ، حزم بن غالب الرعيني من أهل طليطلة سمع من عيسى بن دينار رحل إلى المشرق فلقي سحنون و نظرائه كان يستقضي بلاده وكان يرقى المنبر[3] . إضافة إلى سعيد بن النمر بن الحسن الغافقي من أهل البيرة وعبد الله بن مسعود من طليطلة .[4]

1.محمد زينهم عزب:المرجع السابق،ص197

2- الخشني : المصدر السابق، ص195

3- الفرضي :تاريخ علماء ورواة الأندلس،تق: عزة العطار الحسيني،ج1،مطبعة المدني، القاهرة،ط2،1988،ص99

4- النباهي: المصدر السابق، ص75

وفاته :

لقد كان سحنون عالم الأمة وفقيهها زاهدهاو تقيها إتسمت فيه صفات ما كانت في غيره لكن لا يسعنا الحديث عن مكانته ودوره الجلي في نشر المذهب السني مذهب الإمام مالك بن أنس لقد ترك سحنون بن سعيد بصمة قوية في الفقع الإسلامي وفي المجتمع الإسلامي عامة في المشرق و الأندلس والمغرب

توفي سحنون بن سعيد رحمه الله في سنة 240هـ[1] قال الدباغ :توفي يوم الأحد قبل نصف النهار ،توفي لرجب لسبعة أيام مضت منه قبل صلاة الظهر ودفن بعد صلاة العصر [2] ووجه إليه محمد بن الأغلب بكفن و حنوط فاحتال إبنه محمد حتى كفن في غيره وتصدق بذلك وصلى عليه الأمير الأغلبي في مصلى باب نافع [3] عاش ثمانين عاما [4] وتوفي وهو لايزال قاضيا[5] وقبره معروف ومشهور

قال المالكي : لما توفي سحنون رجفت القيروان لموته [6] ولما بلغ من العمر ثمانين عاما ،عمل طعاما ونادى عليه بعض الخاصة فسئل عن سببه فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من بلغ عمره ثمانين عاما كتبت حسناته ولم تكتب سيئاته فعملته شكرا لله تعالى

1- النباهي : المصدر السابق،ص22

2- المالكي: المصدرالسابق،ص347

3-الدباغ: المصدر السابق،ص101

4- الذهبي : العبر في خبر من غبر،تق: ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول،ج1،دار الكتب العلمية ،بيروت،د ت ،ص340

5- صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات،تق:احمد الأرناؤوط،تركي مصطفى،ج18،دار احياء التراث العربي،بيروت،ط1،2000،ص174

6-المالكي:المصدر السابق،ص ،347

وقد إستعفى رجال ابن الأغلب من الصلاة عليه وقالوا: قد علمت مابيننا و بينه وأنه يكفرنا و نكفره . لأن أكثرهم كانو معتزلة وإنما خرجنا طاعة لك فإن صلينا عليه علم الناس ورأوا أنا رضينا حاله ،[1]

قال ابو الربيع سليمان بن سالم :لقد رأيت يوم مات سحنون مشايخ من أهل الأندلس يبكون ويضربون خدودهم كالنساء و يقولون يا أبا سعيد ليتنا تزودنا منك نظرة نرجع بها إلى بلدنا

وقال بعض المتعبدين :من أراد أن يشرب من ماء الحياة فاليسمع من سحنون .

كان لما مات سنه 80عاما ومولده 160هـ ويقولون 161هـ وقال له رجل :"الناس يقولون :إنك دعوت الله ألا يبلغك سنة 240هـ فقال: ما قلت ولكن الناس يقولونه ما أرى أجلي إلا فيها .وقال أخر: رأيت النبي صلى الله عليه و سلم مقبورا والناس يجعلون على قبره التراب وسحنون ينبشه.فقال: قل لسحنون هم يدفنون سنة رسول الله وأنت تحييها." [3]

ومن بعض أقواله : من لم يعمل بعلمه لم ينفعه علمه بل يضره. وقال أيضا: إذا أتى الرجل مجلس القاضي ثلاثة أيام متتالية بلا حاجة فينبغي ألا تقبل شهادته.

وسئل سحنون : ابيع العالم أن يقول:لا أدري فيما يدر ي،قال: فأما ما فيه كتاب أو سنة ثابتة فلا،وأما ما كان في هذا الرأي فإنه أبيعه ذلك لأنه لا يدري أمصيب هو أو مخطيء[4]

1- الدباغ: المصدر السابق،ص103

2- المالكي: المصدر السابق،ص458

3- ابن فرحون :المصدر السابق،ص267

4- الذهبي : سير أعلام النبلاء،ج12،المصدر السابق،ص22

وقال أيضا : أكل بالمسكنة ولا أكل بالعلم محب الدنيا أعمى لم ينوره علمه ما أقبح بالعالم أن يأتي الأمراء والله ما دخلت على السلطان إلا وإذا خرجت حاسبت نفسي فوجدت عليها الدرك وأنتم ترون مخالفتي لهواه وما ألقاه به من الغلظة والله ما أخذت ولا لبست لهم ثوبا .
وقال سحنون: كان بعض من مضى يريد أن يتكلم بالكلمة ولو تكلم بها تنتفع بها خلق كثير فيحسبها ولا يتلكم بها مخا فة المباهات وكان إذا أعجبه الصمت يتكلم ويقول أجرأ الناس على الفتيا أقلهم علما وعنه قال : أنا أحفظ مسائلها فيها ثمانية أقاويل من ثمانية أئمة فكيف ينبغي أن أعجل بالجواب .[1]

وقد قال :ما وجدت من باع آخرته بدنيا غيره إلا المفتي . وقال أيضا: كبرنا و ساءت أخلاقنا ويعلم الله ما أصيح عليكم إلا لأأدبكم[2] .

1- الذهبي : المصدر السابق،ص226

2- محمد بن سحنون : المصدر السابق،ص

الخاتمة

خاتمة :

وفي الأخير نختم بكلام الله تعالى :"إنما يخشى الله من عباده العلماء." لقد أنعم الله علينا بالعلم الصحيح والعلماء الأكفاء ، فسحنون بن سعيد العلامة و الفقيه و القاضي كان له دور كبير في نشر المذهب السني مذهب إمام دار الهجرة فهو من أعلام النهضة حيث أعطى لإفريقية شخصية مميزة عن بقية البلدان الإسلامية حيث إشتهرت بمجالسه التي زخرت بطلاب العلم .

وبالنسبة إلى مكانته العلمية التي جعلته ذا هيبة بين الناس والعلماء وحتى الحكام جعلتني أخرج بمجموعة من النتائج وهي كما يلي:

لقد نشأ سحنون نشأة علمية جعلته قائد أمة وعالم جليل كما ساهمت رحلته لأخذ العلم عن العلماء من مختلف العالم الإسلامي منهم علي بن زياد والبهلول بن راشد في تنمية شخصيته وتطليعه إلى الأفضل من خلال توجيهاتهم بالزيادة في أخذ العلم من المدينة .

أن شخصية مالك بن أنس الساحرة و مذهبه الجذاب جعل سحنون يرحل للمدينة لملاقاته لكن وفاة مالك زادت من رغبته في الأخذ عن طلابه الأوائل كأشهب وغيرهم لقد كانت المدينة مصدر علم و إلهام لسحنون إذ يعتبر مغربي المنشأ لكنه مدني العلم والمذهب

إن الحياة العلمية التي زخرت بها إفريقية وتشجيع الأمراء للعلم و العلماء أعطى لسحنون بن سعيد حرية التعلم و التفقه فبالرغم من عدم مخالطته إياهم إلا أنه قبل الإشتغال في منصب القاضي في الدولة الأغلبية

لقد لعب سحنون دوره القضائي على أكمل وجه ما أعطاه هيبة و محبة في مختلف فئات المجتمع وإستطاع من خلال عمله هذا أن يبث المذهب المالكي السني في نفوس المجتمع الأغلبي والمغرب الإسلامي كله

لقد عمل سحنون بن سعيد على نشر المذهب المالكي في المغرب الإسلامي بواسطة تعليمه و تأديبه وحتى تأليفه إذ كان للمدونة الكبرى الدور الفعال في ترسيخ المذهب المالكي وأصبحت حلقاته مقصد الطلاب من مختلف الأقطار

إن المدونة الكبرى هي مجهود لأربعة علماء هم ابن القاسم ومالك وأسد بن الفرات وسحنون بن سعيد وتعتبر الكتاب الفقهي الصحيح و المؤكد في المذهب المالكي بعد الموطأ لأنس بن مالك صاحب المذهب

لقد أنتجت بذور سحنون بن سعيد التي لطالما إعتنى بها لتكون رائدة المذهب من بعده في نشره و تعليمه و تثبيته مثال ذلك إبنه محمد الذي بلغ رتبة الاجتهاد الفقهي وتفاني في خدمة العلم ونشره وأقرانه من العلماء كانوا نجوما في سماء حضارتنا الإسلامية الزاهرة

لقد كان سحنون بن سعيد شعلة المذهب المالكي التي تنير درب كل عالم .

قائمة المصادر
و المراجع

قائمة المصادر و المراجع :

أ ـ المصادر

1)- ابن الآبار (ابو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي):الحلة السيراء،تحقيق:حسين مؤنس،الشركة العربية للطباعة و النشر ،القاهرة ،ط1، 1963.

2)- ابن الآبار(ابو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي):التكملة لكتاب الصلة ،تحقيق: عبد السلام الهرامش

3) - ابي إسحاق الشيرازي الشافعي: طبقات الفقهاء،تق:إحسان عباس،دار الرائد العربي،بيروت،د ـ ت

4)-ابن أبي زيد القيرواني (أبو محمد عبد الله بن أبي زيد) :النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1،1999

5)- ابن الأثير(أبو الحسن عز الدين علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني) :الكامل في التاريخ ،ج4، ج8، دار صادر ،بيروت 1979

6)- أحمد بن الحسين النائب الأنصاري:نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان،تق:محمد زينهم عزب،دار الفرجاني،د ـ م ، د ـ ت

7)- الدباغ (عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله الأنصاري) : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان و افريقية و زهادهم و نساكهم و سير من أخبارهم و فضائلهم و أوصافهم تق: بشير بكوش ،ج1، ج2، ج3،دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط2،1994

8)- المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد) : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و افريقية و زهادهم و نساكهم و سير من أخبارهم و فضائلهم و أوصافهم ،تق: بشير بكوش ،ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط2، 1994

9)- المقري(شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني): نفح الطيب من غصن الأندلس الطيب ،تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ،1988 ،

10)- النباهي ابو الحسن المالقي الأندلوسي : تاريخ قضاة الأندلس،تق:لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة،بيروت،ط5،1983

11)- سحنون (أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي) : المدونة الكبرى ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ،2004

12)- ابن سحنون (أبو عبد الله محمد): كتاب آداب المعلمين ، تحقيق : حسن حسني عبد الوهاب ، دار الكتب التونسية ، تونس ، 1972

13)- الفاسي عبد الكريم بن المجدوب:موسوعة أعلام المغرب،تق:محمد حجي،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط1،1996

14)-الفرضي :تاريخ علماء ورواة الأندلس،تق: عزة العطار الحسيني،ج1،مطبعة المدني، القاهرة،ط2،1988

15)- صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات،تق:احمد الأرناؤوط،تركي مصطفى،ج18،دار احياء التراث العربي،بيروت،ط1،2000

16)- عياض (القاضي أبو الفضل بن موسى بن عياض اليحصبي): ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تحقيق : أحمد بكير محمود ،دار الحياة ، بيروت ، د : ت

17)- ابن عذاري (أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : ج.س كولان ، و إ .ليقي بروفنسال ،دار الثقافة ،بيروت، د:ت

18)- أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميم) :طبقات علماء إفريقية و تونس ، تحقيق : علي الشابي و نعيم حسن عبد الباقي ،الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1968

19)- ابن فرحون (القاضي إبراهيم بن نور الدين): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ،تق : محمود بن محي الدين الجنان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1996

20)- الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية و المغرب ، تحقيق : عبد الله علي الزيدان و عز الدين عمر موسى ، دار الغرب السلامي ، بيروت ، ط1 ، 1990

21)- السيوطي(جلال الدين عبد الرحمان الشافعي) تنوير الحوالك شرح على موطأ الإمام مالك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت

22) - شهاب الدين الدمشقي :شذرات الذهب في أخبار من ذهب،تق:محمد الأرناؤوط، ج3،دار إبن كثير ،بيروت ،ط1،1988

23)- الخشني : طبقات قضات و علماء إفريقية،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،ط1،1953

24)- ابن خلدون (أبو عبد الرحمان بن محمد المغربي) : المقدمة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د:ت

25)- ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد) : وفيات الأعيان وأنباء الزمان ،تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1968

26)- الذهبي : العبر في خبر من غبر،تق: ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول،ج1،دار الكتب العلمية ،بيروت،د ت

27)- الذهبي: سير أعلام النبلاء،تق:سعيد الأرناؤوط،محمد نعيم العرقوسي،ج10،مؤسسة الرسالة ،بيروت،ط1، 1982،

المراجع:

1)- ابن وردان : تاريخ مملكة الأغالبة ،تق: محمد زينهم عزب،مكتبة مدبولي ،القاهرة ،ط1،1988

2)- أبو زهرة محمد : تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، دار الفكر العربي ، القاهرة

3)- أبو زهرة محمد :مالك ، حياته و عصره ،أراءه وفقهه،دار الفكر العربي،القاهرة ،ط2،2001

4)- أحمد أمين : ضحى الإسلام ، دارالكتاب العربي ، بيروت ،2005

5)- بونار رابح : المغرب العربي تاريخه وثقافته ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ،ط3 ، د:ت

6)- الثعالبي محمد بن الحسين الخوجي الفاسي : الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ، تق : أيمن صالح شعبان ، ج2، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، 1995

7)-الجيدي عمر : مباحث في تاريخ المذهب المالكي ،منشورات عكاظ للدراسات والنشر والتوزيع ، الرباط ، 1993

8) - زهير حمدان :أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية و التطبيقية ،ج1،مكتبة الأسد،دمشق،1990

9)- حسين مؤنس:معالم تاريخ المغرب والأندلس،مكتبة الأسرة ،د ـ م،1993جمعة محمد علي : المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، مصر ، 2004

10)- حسن إبراهيم حسن :تاريخ الإسلام: الديني والثقافي والإجتماعي،ج2،دار الجيل،بيروت،ط14،1999

11)- سعدي أبو حبيب :سحنون مشكاة علم نور و حق ،دار الفكر ،دمشق،ط1،1981

12)- سعد زغلول عبد الحميد:تاريخ المغرب العربي:تاريخ دول الأغالبةوالرستميين وبني مدرار و الأدارسة حتى قيام الفاطميين،ج2،منشأة المعارف ،الإسكندرية،1978

13)- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: تاريخ المغرب و الأندلس، مكتبة نهضة الشرق ،القاهرة،1984

14)- كمال السيد أبو مصطفى:جوانب من الحياة الاجتماعيةوالاقتصاديةوالدينيةوالعلمية في المغرب الاسلامي من خلال نوازل الونشريسي،مركز الاسكندرية للكتاب ،القاهرة ،1996

15)- عبد العزيز محمد عادل : التربية الإسلامية في المغرب : أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1987

16)- موسى لوقبال:تاريخ المغرب الإسلامي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،ط2،1998

17)- محمد زينهم عزب:الإمام سحنون،تق:حسين مؤنس،دار الفرجاني،القاهرة،دت18)- مخلوف محمد بن محمد : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، ج1، دار الفكر ، دمشق ، د:ت

19)- محمد محمد زيتون: القيروان و دورها في الحضارة الإيلامية ،دار المنار، القاهرة،ط1،1988

20)- محمد إبراهيم علي: إصطلاح المذهب عند المالكية ،دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث،دبي،ط1،2000

21)- ناصر الدين محمد الشريف:الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية،دار البيارق،لبنان،ط1،1999

22)- الهنتاتي نجم الدين : المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي ، منشورات تبر ، تونس ، 2004

المذكرات:

1)- بو خروبة سلمى:أثر فقهاء المالكية الثقافي بإفريقية من القرن 2هـ إلى 5هـ،مذكرة الاستر في التاريخ العام ،قالمة،2014- يوسف بن أحمد حوالة :الحياة العلمية بإفريقية :منذ اتمام الفتح إلى القرن 5هـ ،جامعة ام القرى،ج1، مكة،ط1،2000

2)- بن حميدة ماجدة: السنة في المغرب الإسلامي من القرن2هـ إلى القرن5هـ مذكرة الماستر ،قالمة ،2013

3)- علياء هاشم ذنون محمد المشهذاني: فقهاء المالكية .دراسة في علاقاتهم العلمية في الاندلس والمغرب حتى منتصف القرن 6هـ ،مذكرة الدكتورا التاريخ الاسلامي،جامعة الموصل،2003

الموسوعات:

1)- جسيل سدبك: موسوعة الأديان في العالم : المذاهب في الفقه الإسلامي

المقالات:

1)- محمد أبو الاجفان:محمد بن سحنون،مجلة الوعي الإسلامي الكويتية ،عدد 296،1998 ابن الخراط : مقدمة في المذهب المالكي ، الثلاثاء 24نوفمبر 2009

2)- الحاج الأمين بامبا: انتشار المذهب المالكي في الغرب الإسلامي انطلاقا من المغرب

3)- محمد صلاح الدين المستاوي:الإمام سحنون ملامح من سيرته والتعريف بموسوعته المدونة.

فهـــــرس الـــــمـــوضـــــوع :

الصفحة

الشكر

الإهداء

المقدمة .....أ ب ت

التمهيد .....ص 1

الفصل الأول : نبذة عامة عن الإمام سحنون بن سعيد .....ص 2- 28

المبحث الأول: مولده ونشأته.....ص 2- 6

المبحث الثاني: رحلته.....ص7 - 12

المبحث الثالث: مشايخ سحنون بن سعيد.....ص13-23

المبحث الرابع: محنته وثناء العلماء عليه.....ص24-28

الفصل الثاني.توليه القضاء ص29-45

المبحث الأول: علاقته مع الأغالبة.....ص29-32

المبحث الثاني: سحنون بن سعيد القاضي.....ص33-41

المبحث الثالث: دوره في القضاء.....ص42 -45

الفصل الثالث : آثاره .....ص46 - 63

المبحث الأول: مؤلفاته .....ص 48 -54

المبحث الثاني: كبار تلاميذه .....ص 55 - 60

الخاتمة .....

قائمة المصادر و المراجع .....